دكتور أحمد هنداوي هلال
أستاذ البلاغة والنقد



لابن منظـــور
دراسة بلاغية تحليلية

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولـى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

أميرة للطباعة

٥ شارع محمود الخضرى - عابدين

ت: ٣٩١٥٨١٧ محمول: ٠١٠١٤٥٦٠٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(وبعد)

فالاستعارة المعنوية، أو المفيدة هى التى تتبادر إلى الذهن عند الإطلاق، ويقابلها الاستعارة غير المفيدة، أو اللفظية[1] وهى - أعنى المفيدة ضرب من المجاز اللغوى، أو - إن شئنا الدقة - قلنا إنه قمته، وذروة سنامه، وزبدة عطائه، وقد أشاد بذكرها أرباب البيان، وأبانوا فضلها، ورفعوا قدرها، وأثنوا على أثرها الفاعل فى جمال الأسلوب، وبديع نسجه، وحسن صياغته.

فهذا هو الجاحظ يجلى قدرها، ويبرز سحر بيانها، وفخامة منزلتها فيقول: إنها تجعل « ... الأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة، ومعربة من جهة صحة الشهادة على أن الذى فيها من التدبير والحكمة مخبر لمن استخبره، وناطق لمن استنطقه، كما خبر الهزال، وكسوف اللون عن سوء الحال، وكما ينطق السمن، وحسن النضرة عن حسن الحال، وقد قال الشاعر وهو نصيب:

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله

ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال آخر:

متى تك فى عدو أو صديق تخبرك العيون عن القلوب»[2]

وامتدحها أيضا وأثنى عليها الشيخ عبد القاهر الجرجانى فقد قال ضمن

---

(١) أفردت لها بحثا مستقلا بعنوان (رؤى جديدة فى الاستعارة غير المفيدة) نشر فى مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية العدد الرابع عشر ١٩٩٤ م.

(٢) الحيوان ١ / ٣٤ تحقيق عبد السلام هارون ط ثانية ١٩٦٥ م.

كلام له حولها: «اعلم أن الاستعارة فى الحقيقة هى هذا الضرب دون الأول[1] وهى أمد ميدانا، وأشد افتنانا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا، وأوسع سعة، وأبعد غورا، وأذهب نجدا فى الصناعة، وغورا من أن تجمع شعبها وشعوبها، فتحصر فنونها وضروبها، نعم، وأسحر سحرا، وأملأ بكل ما يملأ صدرا، ويمتع عقلا ويؤنس نفسا، ويوفر أنسا، وأهدى إلى أن تهدى إليك أبدا عذارى قد تخير لها الجمال، وعنى بها الكمال...»[2] .

وهذا الثناء والإطراء يشمل الاستعارة المفيدة بشتى صورها، وما ينضوى تحت لوائها من فنون وضروب.

وهذا العمل سيتناول - إن شاء الله - الاستعارة من خلال الشواهد، والأمثلة التى ذكرها صاحب لسان العرب فى كتابه، وغنى عن البيان أن لسان العرب معجم لغوى، وليس كتاب بلاغة، ولذلك كان يشير إلى الاستعارة أنى وجدها إشارة سريعة، دون أن يعنى بتحديد نوع، أو تحرير مصطلح.

وكان تناوله لها يتمثل أحيانا بقوله بعد أن يوضح المعنى الحقيقى للكلمة، أو العبارة: وقد استعيرت لكذا - مثلا - أو استعارها بعض الشعراء لكذا، أو يعبر عنها بكلمة التشبيه، أو ما اشتق منها، وربما فهمت من شرحه لمضمونها دون تصريح، أو تلميح كما سيأتى بيانه بمشيئة الله - وحسبه هذه اللمحات التى أنبأت عن الاستعارة، وأومأت إليها.

وقد أعاننى الله على قراءة لسان العرب، واستخراج تلك الاستعارات منه، فله - عز وجل - الحمد الدائم، والشكر المتواصل، وقد استفرغت جهدى وطاقتى فى فهمها، ثم تقسيمها إلى ضروبها المختلفة. وعالجت كل استعارة على حدة، وألقيت الضوء على أركانها، وما فيها من ترشيح، أو إطلاق، ومحسوس ومعقول، وما منَّ الله به علىَّ من ملاحظ أوحت بها، مسترشدا فى كل ذلك بالثوابت البلاغية التى أرساها علماء البلاغة.

---

(١) يقصد من الضرب الأول الاستعارة اللفظية، أو غير المفيدة

(٢) أسرار البلاغة / ٤٢ تعليق الشيخ محمود شاكر

وقد جعلت هذا العمل في تمهيد، وفصلين، عرَّفت في التمهيد بصاحب لسان العرب (ابن منظور) رحمه الله - وكتابه، وتناولت في الفصل الأول الاستعارة التصريحية بنوعيها: - الأصلية - والتبعية، وكذلك الاستعارة التمثيلية.

وعرضت في الفصل الثاني للاستعارة بالكناية وقرينتها الاستعارة التخييلية.

أسأل الله العون والتوفيق

(وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)

دكتـــور

أحمد هنداوي عبد الغفار هلال

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

جامعة الأزهر - فرع المنوفية

٨ ربيع الآخر ١٤٢١ هـ

١٠ يوليو ٢٠٠٠ م

تمهيد

أود أن ألقى فى هذا التمهيد[1] الضوء فى عجالة على شخصية (ابن منظور) ومنزلته العلمية، وعلى معجمه الكبير (لسان العرب) لأن اسم كل منهما يتصدر وجه هذا العمل، ويمثل جانبا من عنوانه، وأيضا فإن مادته العلمية قائمة ومبنية على ما ذكره فى هذا المعجم المنقطع النظير.

اسمه ونسبه :

هو محمد بن مكرم بتشديد الراء ابن على بن أحمد بن أبى القاسم ابن حبقة بن منظور الأنصارى[2] ، وقد اشتهر باسم (منظور) أحد أجداده الأعلون.

وقد صرح بنسبه فى بعض المواضع من (لسانه فقال : « ... فأما جربة بالهاء، فقرية بالمغرب كما ذكر فى حديث رويفع بن ثابت - رضى الله عنه - قال عبد الله بن مكرم : رويفع بن ثابت هذا هو جدنا الأعلى من الأنصار، كما رأيته بخط جدى نجيب الدين والد المكرم أبى الحسن على بن أحمد بن القاسم بن حبقة بن محمد بن منظور بن معافى ... »[3] .

مولده ووفاته :

ولد فى شهر المحرم سنة ٦٣٠ هـ[4] بمصر، وقيل فى طرابلس الغرب[5] ، وقد خدم فى ديوان الإنشاء بالقاهرة، وولى القضاء فى طرابلس الغرب، ثم عاد إلى مصر وتوفى بها فى شعبان ٧١١ هـ[6].

---

(١) نقلت هذا التمهيد من كتابى (المجاز المرسل فى لسان العرب لابن منظور ...) الطبعة الثانية من صفحة ٥ - ٨

(٢) معجم المؤلفين تأليف عمر كحالة ١٢ / ٤٦ مكتبة المثنى - لبنان.

(٣) لسان العرب ١ / ٥٨٤ (جرب) ط دار المعارف - القاهرة.

(٤) بغية الوعاة للسيوطى ١ /٢٤٨ تحقيق محمد أبو الفضل بيروت - لبنان.

(٥) الأعلام، لخير الدين الزركلي ٧ /١٠٨ دار العلم للملايين - بيروت ط رابعة ١٩٧٩ م.

(٦) ينظر بغية الوعاة للسيوطى ١ /٢٤٨

منزلته العلمية

يتسنم (ابن منظور) مكانة علمية سامية سامقة، لا يصل إليها إلا الأفذاذ القلائل الذين آتاهم الله بسطة فى العلم، وغزارة فى الذكاء، والفهم، وقد وصفه أولو الفضل من العلماء بنبيل السجايا، وعظيم الصفات، فهو الإمام الحجة اللغوى[1] الفاضل فى الأدب، المليح فى الإنشاء، المتفرد فى العوالى، العارف بالنحو، واللغة، والتاريخ، والكتابة[2] .

وهو « علم الهداية الباذخ، وطود الدراية الشامخ، الناضل الذى ما رمى إلا أصاب فؤاد الغرض، والطبيب الذى أزال عن عيون المشكلات كل غشاوة، وعن قلوبها كل مرض، ذو التصانيف الفائقة العديدة، والتآليف الرائعة المفيدة، واللطائف الجمة، والطرائف المهمة، شيخ الشيوخ، راسخ القدم فى كل فن أعظم رسوخ، الحافظ، المتقن، المتفنن، المتحدث، المتفرد بالعوالى، المتمكن، الإمام جمال الدين محمد بن الشيخ الإمام جلال الدين أبى العز مكرم . . . الشهير بابن منظور . . . »[3] .

ويكفيه فخراً ورفعة فى ساحة العلم أنه « ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد »[4] .

مكانة لسان العرب :

أثنى كثير من العلماء على معجم (لسان العرب) وأنزلوه منزلته اللائقة به، منهم أحمد فارس الشدياق الذى قال فى تقريظ (اللسان) « . . . أقرر أن أعظم كتاب ألف فى مفرداتها - أى مفردات اللغة العربية - كتاب (لسان العرب) للإمام المتقن جمال الدين محمد بن جلال الدين الأنصارى، فهو يغنى عن سائر كتب اللغة، إذ هى بجملتها لم تبلغ منها ما بلغه . . . »[5] .

---

(١) الأعلام ٧ / ١٠٨ (٢) ينظر بغية الوعاة للسيوطى ١ / ٢٤٨

(٣) من كلمة مصحح العلوم فى ختام لسان العرب محمد الحسينى ط بولاق ٢٠ / ٣٨٧

(٤) الأعلام ٧ / ١٠٨

(٥) مقدمة الطبعة الأولى من لسان العرب ط بولاق ١ / ٢ - ٣

وهذه شهادة ممن قرأ (لسان العرب) وسبر غوره، وعرف قدره، فهو مشحون بعلوم اللغة العربية بحيث يمكن الاستغناء به عما عداه من كتبها المتنوعة؛ لأنه بلغ شأوا لم تبلغه هذه الكتب، وما ذاك إلا لأنه «... البحر المحيط باللغة العربية تستخرج من لجحه اللآلىء الأدبية لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولم يدع شاردة، ولا واردة من غريب اللغة، والحديث، والآى إلا قيدها، وأبداها...»[1] وقد ذكر (ابن منظور) نفسه أنه جمع فى كتابه خمسة كتب هى: الصحاح للجوهرى، وحاشية ابن برى عليه، والتهذيب للأزهرى، والمحكم لابن سيده، والنهاية لابن الأثير[2].

ثم قال: «وليس لى فى هذا الكتاب فضيلة أمت بها، ولا وسيلة أتمسك بسببها، سوى أنى جمعت فيه ما تفرق فى تلك الكتب من العلوم... فليعتد من ينقل عن كتابى هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة...»[3].

ويبدو أن هذا الذى قاله هو من قبيل تواضع العلماء الجم، وعدم مباهاتهم بأعمالهم الجليلة، وهضمهم أنفسهم، فقد أثبتت الدراسة المتأنية أن معجمه كان عملا جديدا، وليس مجرد جمع لمجموعة كتب فى كتاب واحد، وكانت له شخصيته البارزة فى طول هذا المعجم، ولا أدل على ذلك من أنه كان ينقد من يأخذ عنهم فى منهجهم، وفى مادتهم اللغوية[4].

* * *

---

(١) من كلمة مصحح العلوم محمد الحسينى فى ختام طبعة بولاق ٢٠/ ٣٨٧

(٢) ينظر مقدمة (لسان العرب) ١١/ ١٢ ط دار المعارف.

(٣) المصدر نفسه / ١٢

(٤) ينظر ابن منظور اللغوى منهجه وأثره فى الدراسات اللغوية للدكتور محمد متولى منصور /٣٥٣ - ٤٣٦ رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

الفصل الأول

- الاستعارة التصريحية .
- الاستعارة الأصلية .
- حول مواقع الاستعارة الأصلية من الإعراب .
- الاستعارة التبعية .
- الاستعارة التمثيلية .

الاستعارة التصريحية

الاستعارة التصريحية هى ما صرح فيها بلفظ المشبه به، وقد أبان الشيخ عبد القاهر الجرجانى مدلولها، ووضح مضمونها وهو بصدد تقسيم الاستعارة بوجه عام إلى تصريحية ومكنية فقال: «الاستعارة أن تريد تشبيه الشىء بالشىء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجىء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه، وتجريه عليه تريد أن تقول رأيت رجلا هو كالأسد فى شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول رأيت أسدا..»[1] فالمشبه فى هذه الاستعارة محذوف، ومطوى، والمشبه به، أو المستعار منه هو المذكور على سبيل العارية للمشبه لأجل المبالغة فى التشبيه.

وعلى هذا السنن الواضح، والطريق الملحوب فى بيان مدلولها، سار علماء البلاغة عند تناولهم لتعريفها، وتحديد المراد بها، فقد عرفها السكاكى بقوله: «... أن يكون الطرف المذكور من طرفى التشبيه هو المشبه به»[2].

وعرفها بهاء الدين السبكى بقوله «أن يذكر المشبه به مرادا به المشبه»[3].

وقال الدسوقى «.. إن المراد بالاستعارة فى كلام المصنف – أى الخطيب القزوينى – الاستعارة التصريحية، وهى التى يذكر فيها المشبه به دون المشبه»[4].

وتكون هذه الاستعارة أصلية، وتبعية كما سيأتى بيانه – إن شاء الله – .

* * *

---

(١) دلائل الإعجاز /٦٧ ، تعليق الشيخ محمود شاكر.

(٢) المفتاح /١٧٦

(٣) عروس الأفراح.. ٤/٤٦ ، شروح التلخيص.

(٤) حاشية الدسوقى على مختصر السعد ٤/٤٥ شروح التلخيص.

الاستعارة الأصلية

الاستعارة الأصلية هى التى صرح فيها بلفظ المشبه به، وهو المستعار منه، ويكون اسم جنس يصدق على كثير، سواء أكان من أسماء الذوات كأسد، وبحر، وسيف، أو اسم معنى كالنطق، والقتل... وقد عرفها السكاكى بقوله: «هى أن يكون المستعار اسم جنس كرجل، وأسد، وكقيام، وقعود[١] .

وسميت أصلية نسبة إلى الأصل أى الاستقلال، وعدم التبعية لغيرها؛ لكون التشبيه داخلا فى المستعار دخولا أوليا[٢] .

أو سميت بهذا الاسم نسبة إلى الأصل بمعنى الكثير الغالب، لأن الموجود من أفرادها فى الكلام أكثر من أفراد التبعية.

قال الدسوقى – رحمه الله – فى حاشيته على مختصر السعد «قوله فأصلية أى فتلك الاستعارة أصلية نسبة للأصل بمعنى الكثير الغالب... ويحتمل أن أصلية نسبة للأصل بمعنى ما كان مستقلا، وليس مبنيا على غيره، ولا شك أن هذه الاستعارة تعتبر أولا من غير توقف على تقدم أخرى تنبنى عليها، بخلاف التبعية، أو بمعنى ما انبنى عليه غيره، ولا شك أنها أصل للتبعية، لبنائها عليها»[٣] .

وقد تناول صاحب لسان العرب الاستعارة الأصلية على صور متعددة:

إحداها: أن يصرح بلفظ الاستعارة، أو ما اشتق منه، دون أن يصرح أو يشير إلى أنها أصلية، ومن هذا الضرب ما ذكره حول قول أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – تصف رسول الله ﷺ بأنه دخل تبرق أكاليل وجهه[٤]

---

(١) المفتاح / ١٧٩

(٢) ينظر درر العبارات وغرر الإشارات فى تحقيق معانى الاستعارات للشيخ أحمد الحموى / ٨ ، تحقيق الدكتور إبراهيم عبد الحميد التلب.

(٣) حاشية الدسوقى ٤ / ١١٠ شروح التلخيص.

(٤) لسان العرب ٥ / ٣٩٢٠ (كلل).

وينظر كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤ / ١٩٧

والأكاليل جمع إكليل، وقد بين صاحب اللسان معناه عندما قال: « . . . والإكليل شبه عصابة مزينة بالجواهر، والجمع أكاليل على القياس، ويسمى التاج إكليلا، وكلله أى ألبسه الإكليل »[١] .

هذا معناه الحقيقى، ويتابع صاحب اللسان كلامه حول استعارة الأكاليل لوجه رسول الله ﷺ فيقول: « وفى حديث عائشة – رضى الله عنها – دخل رسول الله ﷺ تبرق أكاليل وجهه . . . قال – أى أبو عبيد – . . . فجعلت لوجهه الكريم ﷺ أكاليل على جهة الاستعارة قال – أى أبو عبيد – وقيل أرادت نواحى وجهه، وما أحاط به إلى الجبين من التكلل وهو الإحاطة، ولأن الإكليل يجعل كالحلقة، ويوضع هنالك على أعلى الرأس »[٢] .

فما حكاه صاحب اللسان فى بيان تلك الاستعارة يتضمن وجهين:

أحدهما: أنها جعلت الأكاليل تكسو وجهه كله، فوجهه زاهر مضىء مشرق، وقد أشرب بياضه بحمرة، ويمكن أن يؤيد هذا الوجه بما جاء فى صفته ﷺ أنه كان أزهر، ولم يكن بالأبيض الأمهق وهو الشديد البياض الذى لا يخالط بياضه شىء من الحمرة كلون الجص[٣] أى الجير[٤] .

الثانى: وهو احتمال ضعيف كما تنبىء صيغة الفعل (قيل) الذى صدر به هذا القول أن عائشة – رضى الله عنها – استعارت الأكاليل لنواحى وجهه وأطرافه؛ لأن الإكليل يشبه الحلقة التى تحيط بوجهه الكريم.

وقد يكون من إتمام الفائدة هنا أن أشير إلى ما ذكره صاحب اللسان فى موضع آخر من أن الأكاليل تيجان ملوك العجم، والعمائم تيجان العرب، فالعمائم عند العرب بمنزلة التيجان للملوك[٥] .

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة (السّن) وهى واحدة الأسنان لعمر

---

(١) المصدر نفسه، والموضع . (٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر لسان العرب ٦ / ٤٢٨٨ (مهق) والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ / ٣٢١

(٤) المعجم الوجيز (جصص) . (٥) لسان العرب ١ / ٤٥٤ ، ٤٥٥ (توج) .

الإنسان، وقد صرح في بيانها بالفعل (استعير) بالبناء للمجهول فقد قال . «السن واحدة الأسنان »[1] وهذا – كما هو ظاهر من كلامه – على سبيل الحقيقة، ثم أخذ يلقى الضوء على تلك الاستعارة فقال: « . . . وقد يعبر بالسن عن العمر . . . وفي حديث عثمان وجاوزت أسنان أهل بيتي أي أعمارهم يقال فلان سنّ فلان إذا كان مثله في السن . . . وسنّ الجارحة مؤنثة ثم استعيرت للعمر، استدلالا بها على طوله وقصره، وبقيت على التأنيث . . . »[2] .

فالسنّ مستعارة للعمر، وهي مؤنثة، وبقيت على تأنيثها ولعل في تأنيث العمر وهو مذكر إيماء وإشعارا بالمستعار منه – أعني السن الجارحة – .

قال الزمخشري – رحمه الله – : « ومن المجاز كبرت سنه، وهو حديث السنّ، وكبير السن، وقد أسنّ[3] ولا يخفى أن المستعار منه وهو (السنّ) محسوس، والمستعار له وهو العمر معقول .

ومن هذا القبيل الذي صرح فيه بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة (الذوائب) جمع ذؤابة وهي الشعر المضفور من شعر الرأس، للعز، والشرف . قال صاحب لسان العرب :

« وفي حديث دغفل وأبي بكر إنك لست من ذوائب قريش هي جمع ذؤابة، وهي الشعر المضفور من شعر الرأس، وذؤابة الجبل أعلاه، ثم استعير للعز، والشرف، والمرتبة أي لست من أشرافهم، وذوي أقدارهم »[4] .

وهذه استعارة منفية، بالفعل (ليس) والنفي فرع الإثبات، فلا تتصور في النفي إلا بعد تصور استعارة الذؤابة للرفعة، والعز، والشرف في الإثبات .

وهذه الاستعارة كسابقتها من استعارة المحسوس للمعقول . وما قاله ابن

---

(١) المصدر نفسه ٣ / ٢١٢١ (سنن) .

(٢) المصدر نفسه ٣ / ٢١٢٢ ، ٢١٢٣ (سنن) والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٤١٢

(٣) أساس البلاغة (سنن)

(٤) لسان العرب ٣ / ١٤٨٠ (ذأب)

منظور فى تلك الاستعارة، ونقلته عنه آنفا، هو نص كلام ابن الأثير حولها[1] دون زيادة أو نقصان

ومن هذا النمط الذى صرح فيه بالفعل (استعار) وهو بصدد تناول استعارة (المنجل) الذى يحصد به، وتشذب به أعواد الشجر، لأسنان الإبل الحادة القاطعة فقد قال: « والمنجل ما يحصد به. والمنجل الذى يقضب به العود من الشجر، فينجل به أى يرمى به... واستعاره بعض الشعراء لأسنان الإبل فقال:

إذا لم يكن إلا القتـــاد تنزعت مناجلها أصل القتاد المكالب »[2]

فتلك الاستعارة تصور أن أسنان الإبل حادة تأتى على شجر القتاد من أصله على الرغم من أنه شجر شاك صلب، وفى المثل العربى من دون ذلك خرط القتاد[3] يضرب للشىء لا ينال إلا بمشقة عظيمة. وغنى عن البيان أن المستعار منه، والمستعار له فى هذه الاستعارة محسوسان.

وكلمة (المكالب) فى قول الشاعر المتقدم تحتاج إلى أن يكشف الغطاء عن معناها، وقد نقبت عنه فى لسان العرب، فوجدت ابن منظور – رحمه الله – قد ذكر أن معنى كلاليب الشجر شوكه فقال: « وكلاليب البازى مخالبه، كل ذلك على التشبيه بمخالب الكلاب، والسباع، وكلاليب الشجر شوكه كذلك، وكالبت الإبل رعت كلاليب الشجر... »[4].

ومن هذا الفن الذى صرح فيه بالفعل (استعير) بالبناء للمفعول ما ذكره من استعارة عذرة الناس، ونحوها للعيوب، والمساوىء والمقابح فقد قال: « والعَرّ، والعُرة ذرق الطير، والعرة أيضا عذرة الناس والبعر... وفى الحديث: إياكم

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ / ١٥١ (ذاب).

(٢) لسان العرب ٦ / ٤٣٥٥ (نجل).

(٣) المصدر نفسه ٥ / ٣٥٢٥ (قتد).

(٤) لسان العرب ٥ / ٣٩١٢ (كلب)

ومشارة الناس؛ فإنها تظهر العرة. «هى القذر. وعذرة الناس، فاستعير للمساوىء والمثالب»[١].

فكلمة (العرة) فى الحديث.. (فإنها تظهر العَرة) مفعول به، وقد استعيرت لمثالب الناس؛ لأن العيّاب الذى يسبّ الناس، ويشتمهم يقابل بمثل ما اجترح، واقترف، فتظهر المعايب، وتتجلى المساوىء، وواضح أن تلك الاستعارة من قبيل استعارة المحسوس للمعقول.

ومن تلك الصور التى صرح فيها بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة (الغوغاء) وهو الجراد، لأراذل الناس، ورعاعهم، فقد قال: « ... وفى حديث عمر قال له ابن عوف يحضرك غوغاء الناس. أصل الغوغاء الجراد حين يخف للطيران ثم استعير للسّفلة من الناس، والمتسرعين إلى الشر، ويجوز أن يكون الغوغاء الصوت، والجلبة لكثرة لغطهم وصياحهم»[٢].

فالاستعارة فى كلمة (غوغاء) وهى فاعل الفعل (يحضر) وقد وجهها صاحب لسان العرب تبعا لابن الأثير[٣] توجيهين:

أحدهما: استعارة (الغوغاء) أى الجراد عندما يبدأ فى الطيران دون نظام، أو ترتيب، فى عجلة، وسرعة، لهؤلاء الناس الذين يسرعون إلى الشر، ويبادرون إليه، دون عقل يردهم، أو حلم يكبح جماحهم، ويكفكف من سورتهم.

الثانى: أن يكون مستعارا من ناحية ضوضائه، وجلبته، لكثرة صخب هؤلاء الناس الرذلاء، وضجيجهم، وهى على كلا التوجيهين استعارة محسوس لمحسوس. وفيها تنفير، وذم لهذه الصفات المشينة المعيبة.

---

(١) المصدر نفسه ٤ /٢٨٧٥ (عرر)
وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٣ /٢٠٥
(٢) لسان العرب ٥ /٣٣١٧ (غوغ).
(٣) ينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ /٢٠٥

ومن الاستعارات التى صرح فيها بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة (الترهات) وهى الطرق الصغار غير الجادة، للباطل، وطرقه الكثيرة الملتوية، فقد قال: «الترهات، والترهات، والترهات – بفتح الراء المشددة وضمها – الأباطيل، واحدتها ترهة... وهى فى الأصل الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الأعظم، الجوهرى: الترهات الطرق الصغار غير الجادة.. فارسى معرب، وأنشد ابن برى:

ذاك الذى وأبيك يعرف مالك والحق يدفع ترهات الباطل

واستعير فى الباطل فقيل الترهات البسابس، والترهات الصحاصح وهو من أسماء الباطل»[1].

ويلاحظ أن كلمة (ترهات) فى ختام كلامه حول تلك الاستعارة وصفت مرة بالبسابس، وأخرى بالصحاصح مما يجعل النفس تتطلع وتطمح إلى معرفة معناهما، وقد وجدت صاحب اللسان – رحمه الله – قد بيّن معنى (البسابس) فى موضع آخر حين قال: «والبَسْبَسَة السّعاية بين الناس.. والبسابس الكذب... والترهات البسابس هى الباطل..»[2].

وكذلك بين معنى الصحاصح فى موضع لاحق فقال «والترهات الصحاصح هى الباطل...»[3].

فقد بين معنى كل منهما بلفظ الباطل، وعلى ذلك تكون كل منهما صفة كاشفة، ومنها قول معاوية:

تطاول ليلى واعترتنى وساوسى لآت أتى بالترهات البسابس[4]

وهى استعارة محسوس لمعقول، استعيرت الترهات للباطل، لأن الباطل فيه التواء، ويسلك طرقا معوجة، أما الحق، فهو واضح أبلج.

ومن هذا النموذج الذى صرح فيه بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة (النُّعَرَة) وهو ذباب أزرق يدخل أنف البعير، أو الحمر، أو الخيل، للكبر، والأنفة قال صاحب اللسان:

---

(١) لسان العرب ١/٤٣١ (تره).

(٢) المصدر نفسه ١/٢٨٢ (بسبس).

(٣) المصدر نفسه ٤/٢٤٠٢ (صحح).

(٤) أساس البلاغة للزمخشرى (تره).

«والنعرة ذباب أزرق يدخل فى أنوف الحمير والخيل والجمع نُعر... وقولهم إن فى رأسه نعرة أى كبرا.. ويقال لأطيرن نعرتك أى كبرك وجهلك من رأسك، والأصل فيه أن الحمار إذا نعر ركب رأسه فيقال لكل من ركب رأسه فيه نعرة... وفى حديث عمر رضى الله عنه لا أقلع عنه حتى أطير نعرته، وروى حتى أنزع النعرة التى فى أنفه..»[1] .

فاستعمال (النعرة) فى الذباب الأزرق الذى يدخل أنوف الحيوانات التى ذكرها حقيقة لغوية، وتستعار للكبر، والأنفة فقد قال: « .. قال ابن الأثير هو الذباب الأزرق ووصفه وقال يتولع بالبعير، ويدخل فى أنفه، فيركب رأسه، سميت بذلك لنعيرها، وهو صوتها قال – أى ابن الأثير – ثم استعيرت للنخوة، والأنفة، والكبر أى حتى أزيل نخوته، وأخرج جهله من رأسه...»[2] .

وفى هذه الاستعارة، وهى من قبيل استعارة المحسوس للمعقول ذم للكبر، والتعالى على الناس، وفيها إيحاء بأن المتكبر يمتلىء رأسه بالطنين الأجوف، والأصوات الفارغة من المضمون التى تشمئز منها النفوس، وتعافها الطباع السليمة، والأذواق الرفيعة.

ومن الاستعارة التى صرح فيها بالفعل (استعار) ما ذكره من استعارة (الْمَسَك[3] وهى الأسورة[4] من الخلاخيل أو من الذبل[5] أو من القرون، أو العاج للماء الذى تدخل فيه الأتن أرجلها فيحيط بها فقد قال: «والمسك الذبل، والمسك الأسورة والخلاخيل من الذبل والقرون، والعاج واحدته مَسَكة... وفى حديث بدر قال ابن عوف ومعه أمية بن خلف فأحاط بنا الأنصار حتى جعلونا فى مثل المسكة أى جعلونا فى حلقة كالسوار، وأحدقوا بنا..»[6] .

---

(١) لسان العرب ٦/ ٤٤٧٢ (نعر).

(٢) لسان العرب ٦/ ٤٤٧٢ (نعر). والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٥/ ٨٠

(٣) المسك جمع مسكة وهى السوار يقال فى يدها مسكة أى سوار.

(٤) جمع سوار.

(٥) هو ظهر السلحفاة يجعل منه الأمشاط ونحو ذلك.

لسان العرب ٣/ ١٤٨٩ (ذبل)

(٦) لسان العرب ٦/ ٤٢٠٣ (مسك).

فقوله (حتى جعلونا فى مثل المسكة) تشبيه صريح أداته (مثل) وقد أبانه، وأوضحه.

ثم ذكر الاستعارة عقب ذلك التشبيه فقال: « ... واستعاره أبو وجزة فجعل ما تدخل فيه الأتن أرجلها من الماء مَسَكا فقال:

حتى سلكن الشوى منهن فى مسك

من نســـل جوابة الآفاق مهداج »[1]

والشوى الجلد[2] والمراد به جلد الأرجل.

فالمستعار منه (مسك) وهـو محسوس، والمستعار له الماء وهـو محسوس أيضا.

ومن المواضع التى صرح فيها بالفعل (استعار) ما ذكره من استعارة (المصطار) وهو الحامض من الخمر، للبن الطيب الذى لم يتغير طعمه، فقد قال: « المصطار، والمصطارة الحامض من الخمر قال عدى بن الرقاع:

مصطارة ذهبت فى الخمر نشوتها

كـأن شـــاربها ممـــا بـــه لمم

أى كأن شاربها مما به ذو لمم... قال ابن الرقاع أيضا فاستعاره - أى المصطار – للبن:

نقرى الضيوف إذا ما أزمة أزمت

مصطار ماشية لم يعد أن عصرا !

قال أبو حنيفة جعل اللبن بمنزلة الخمر فسماه مصطارا، يقول إذا أجدب الناس سقيناهم اللبن الصريف، وهو أحلى اللبن وأطيبه، كما نسقى المصطار »[3].

ويبدو أن قرينة تلك الاستعارة هى إضافة المصطار للماشية؛ لأن الذى يضاف للماشية هو اللبن، وليس الخمر، وقوله (لم يعد أن عصرا) ترشيح للاستعارة؛ لأنه ملائم للمستعار منه – وهو المصطار.

---

(١) المصدر السابق نفسه، وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤ / ٣٣١ (مسك).

(٢) لسان العرب ٤ / ٢٣٦٨ (شوا). (٣) لسان العرب ٦ / ٤٢١٧ (مصطر).

ومن البين أن المستعار منه والمستعار له فى هذه الاستعارة محسوسان، لأنهما من المذوقات، والغرض من الاستعارة - كما يزعم الشاعر - مدح اللبن وجعله بمنزلة الخمر فى مذاقه، وطعمه.

ومن هذا اللون الذى صرح فيه بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة (الطبع) - بفتح الطاء والباء - وهو الدنس الذى يغشى السيف، للعيوب، والأخلاق السيئة، والآثام. فقد قال: «والطبْع الختم، وهو التأثير فى الطين ونحوه... الطبع بالسكون الختم، وبالتحريك الدنس، وأصله من الوسخ والدنس، يغشيان السيف ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار، والآثام، وغيرهما من المقابح»[1].

فالطبع - بسكون الباء - وهو الختم الذى يؤثر فى المختوم تأثيرا حسيا من قبيل الحقيقة كالختم على الطين، والشمع - مثلا - والطبع - بالتحريك - ما يعلو السيف، ويغشاه كالصدأ من قبيل الحقيقة أيضا، ويستعار لما يلطخ صاحبه من المقابح والعيوب والآثام.

وقد مثل الزمخشرى - رحمه الله - لاستعارة الطَّبَع للعيوب فقال: وإن فلانا لطمع طبع، دنس الأخلاق، ورب طمع يهدى إلى طبع وقال المغيرة ابن حبناء:

وأمك حين تنسب أم صدق
ولكن ابنها طَبِعٌ سخيف[2]

ومن الصور التى صرح فيها بلفظ (الاستعارة) ما ذكره من استعارة (الطعم) وهو ما يحب ويشتهى فى الشىء المأكول، لمن له قيمة، ومنزلة بين الناس، وعدمه لمن لا اعتداد به، ولا وزن له، فقد قال صاحب اللسان: «والطَّعْم الأكل، والطُّعم ما أكل، وروى الباهلى عن الأصمعى الطُّعم الطعام، والطَّعم الشهوة، وهو الذوق، والطعم ما يشتهى، يقال ليس له طعم، وما فلان بذى طعم

(١) لسان العرب ٤ / ٢٦٣٥ (طبع).

(٢) أساس البلاغة (طبع).

إذا كان غثا، وفى حديث بدر ما قتلنا أحدا به طعم، ما قتلنا إلا عجائز صلعا. هذه استعارة أى قتلنا من لا اعتداد به، ولا معرفة له، ولا قدر»[١] .

فالمستعار منه كما هو جلى الطعم وهو من المذوقات التى تدرك باللسان محسوس، والمستعار له، وهو القدر، والمنزلة معقول.

وقد حكى صاحب اللسان عن بعضهم ما يجلى هذا المعنى، ويبرزه فى قول الشاعر:

ألا ما لنفس لا تموت فينقضى شقاها ولا تحيا حياة لها طعم

فقال إن معناه لها - أى هذه النفس - حلاوة، ومنزلة من القلب[٢] .

وذكر صاحب اللسان أيضا أن الطعم يستعار للعقل والحزم[٣] .

وهى من استعارة المحسوس للمعقول كذلك، وفى هذا تعزيز للقول بأن اللفظة الواحدة تثمر عدة استعارات، وتخرج الصدفة الواحدة عدة من الدرر[٤].

ومن هذا النوع الذى صرح فيه بالفعل (استعار) ما ذكره من استعارة دمع العين، للدسم الذى يسيل من الجفنة المترعة بالطعام فقد قال: «الدمع ماء العين والجمع أدمع ودموع، والقطرة منه دمعة... وعين دموع كثيرة الدمعة، أو سريعتها، واستعار لبيد الدمع فى الجفنة يكثر دسمها، و يسيل فقال:

ولكن ما لى غاله كل جفنة إذا حان ورد أسبلت بدموع

يقال جفنة دامعة، وقد دمعت...»[٥] .

الاستعارة فى قوله (أسبلت بدموع) يقال أسبلت العين أى سال دمعها[٦].

فلفظة (دموع) المجرورة فى عجز البيت مستعارة للدسم، والودك الذى يسيل من الجفنة الممتلئة بالطعام، من استعارة المحسوس للمحسوس.

وكلمة (جفنة) فى البيت معناها الرجل الكريم المضياف، ويبدو مما ذكره

---

(١) لسان العرب ٤/ ٢٦٧٤ (طعم).
وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/ ١٢٥

(٢) لسان العرب ٤/ ٢٦٧٤ (طعم).

(٣) المصدر نفسه . والموضع.

(٤) ينظر أسرار البلاغة ٤٢ - ٤٣

(٥) لسان العرب ٢/ ١٤٢٢ (دمع).

(٦) ينظر المعجم الوجيز (سبل).

صاحب اللسان أنها مجاز مرسل من إطلاق المسبب على السبب، يقول فى ذلك: «والجفنة الرجل الكريم، وفى الحديث أنه قيل له أنت كذا، وأنت الجفنة الغراء كانت العرب تدعو السيد المطعام جفنه؛ لأنه يضعها، ويطعم الناس فيها؛ فسمى باسمها، والغراء البيضاء أى أنها مملوءة بالشحم والدهن»[١] والجفنة فى الأصل أكبر ما يكون من القصاع[٢] .

ومن هذا الضرب الذى صرح فيه بالفعل (استعار) ما ذكره من استعارة الرفاهية، وهى لين العيش، وطيبه، للنخل النابتة فى مكان به ماء كثير دائم فقد قال: «الرفاهة والرفاهية... رغد الخصب، ولين العيش... وأرفههم الله، ورفههم، ورفهنا نرفه رَفْها ورِفْها ورفوها... واستعار لبيد الرفه فى نخل نابتة على الماء فقال:

يشربن رفهًا عراكًا غير صادرة فكلها كارع فى الماء مغتمر[٣]

فهذه النخل تكرع من الماء الذى يجاورها، ويلاصقها، فهى فى رفاهية، وعيش هنىء، والذى يتراءى لى أنها من استعارة المعقول - أعنى الرفاهية، والتنعم للمحسوس، وهو وجود النخل على شاطىء الجدول، أو الغدير، أو ما شاكل ذلك، وكانت هذه صورة نادرة فى بلاد العرب، فغبطها الشاعر على ما هى فيه من نعيم، ورفاهة.

ويبدو أن هذه النخيل كانت كثيرة، فاعتبرها الشاعر (عراكا) أى مزدحمة على الماء كما تزدحم الإبل، إذا وردت الماء، وقد قال صاحب اللسان فى موضع آخر «والعراك ازدحام الإبل على الماء»[٤] .

ومن هذه الطريقة التى صرح فيها بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة

---

(١) لسان العرب ١/٦٤٥ (جفن). (٢) المصدر نفسه ١/٦٤٤ (جفن).

(٣) لسان العرب ٣/١٦٩٨ (رفه).

والضمير فى يشربن للنخل، ورفها - كلما شاءت.

وكارع - مقيم منغمس فى الماء، ومغتمر - قد غمره الماء.

وغير صادرة - أى تشرب، ولا تصدر كما تصدر الإبل.

ينظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة / ٦٠ حققه، وقدم له الدكتور إحسان عباس - ط وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت سنة ١٩٦٢ م. (٤) لسان العرب ٤/٢٩١١ (عرك).

الخسف، وهو حبس الدابة دون علف، للذل والهوان فقد قال «والخسف والخسف الإذلال قال قيس بن الخطيم :

ولم أر كامرئ يدنو لخسف ... له فى الأرض سير وانتواء[1]

... ويقال سامه الخسف، وسامه خَسفا وخُسفا أيضا بالضم أى أولاه ذلا ... وفى حديث على من ترك الجهاد ألبسه الله الذلة وسيم الخسف، الخسف النقصان والهوان، وأصله أن تحبس الدابة على غير علف، ثم استعير فوضع موضع الهوان»[2] .

وقد جاءت هذه الاستعارة فى قول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

إذا ما الملك سام الناس خسفا ... أبينا أن نقر الظلم فينا

يقول : إذا ألحق هذا الملك الذل بالناس، منعناه من إقرار الذل فينا، ولم ننقد له كسائر الناس؛ لشجاعتنا على جميع من سوانا[3] .

ومن هذا النهج الذى صرح فيه بالفعل (استعير) ما ذكره من استعارة الساعة وهى الجزء القليل من الوقت لاسم يوم القيامة فقد قال : «الساعة جزء من أجزاء الليل والنهار والجمع ساعات وساع قال القطامى :

وكنا كالحريق لدى كفاح ... فيخبو ساعة ويهب ساعا

... والليل والنهار معا أربع وعشرون ساعة والساعة فى الأصل تطلق بمعنيين : **أحدهما** : أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءا هى مجموع اليوم والليلة. **والثانى** : أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل يقال جلست عندك ساعة من النهار أى وقتا قليلا منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة»[4] فالساعة بمعنى الوقت القليل مستعارة ليوم القيامة لأنها تقوم فى لمحة خاطفة كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ..﴾ [النحل:٧٧] .

ومن أجل ذلك تابع صاحب لسان العرب كلامه قائلا : «... قال الزجاج

---

(١) نوى الشىء وانتواه – قصده – ينظر لسان العرب ٦ /٤٥٨٨ (نوى).
(٢) المصدر نفسه ٢ /١١٥٨ (خسف) – والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ / ٣١
(٣) ينظر شواهد الكشاف /١٢٨ ... (٤) لسان العرب ٣ / ٢١٥١

معنى الساعة فى كل القرآن الوقت الذى تقوم فيه القيامة، يريد أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم فلقلة الوقت الذى تقوم فيه سماها ساعة »[١] .

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة الموت للفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية فقد قال: « وقد يستعار الموت للأحوال الشاقة كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية ومنه الحديث أول من مات إبليس لأنه أول من عصى، وفى حديث موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قيل له إن هامان قد مات فلقيه، فسأل ربه فقال له أما تعلم أن من أفقرته فقد أمته »[٢] .

فقد صرح بالفعل (يستعار) فالموت مستعار منه، وهذه الأشياء مستعار لها . ومما هو بسبيل من ذلك وأذكره هنا ليكون الكلام حول استعارة الموت متجاورا ما ذكره من استعارة الموت لأشياء غير التى سبق ذكرها هنا، وسمى الاستعارة فيها مثلا ما ذكره فى قوله: « .. والموت السكون وكل ما سكن فقد مات وهو على المثل وماتت النار موتا برد رمادها فلم يبق من الجمر شىء، وماتت الريح ركدت وسكنت، ومات الماء بهذا المكان إذا نشفته الأرض وكل ذلك على المثل »[٣] .

والموتان من الأرض ما لم يستخرج، ولا اعتمر على المثل، وأرض ميتة وموات من ذلك »[٤] .

ثانيتها – أن يعبر عن الاستعارة الأصلية بلفظ التشبيه، أو ما اشتق منه، ولعله راعى فى ذلك أصل الاستعارة الذى بنيت عليه، وهو التشبيه .

واستهل هذا النمط بما أشار إليه من استعارة (الكافور) وهو وعاء طلع النخل، وأكمام العنب والفواكه، لكنانة النبى ﷺ، وهى جعبة السهام المتخذة من جلود، أو خشب[٥] فقد قال:

« والكافور كم العنب قبل أن ينور . . . وجمع الكافور كوافير . . . والكافور

---

(١) المصدر نفسه والموضع .

(٢) لسان العرب ٦/٤٢٩٥ – ٤٢٩٦ (موت) .

وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤/٣٦٩

(٣) المصدر نفسه والموضع .

(٤) نفسه .

(٥) ينظر لسان العرب ٥/٣٩٤٣ (كنن) .

الطلع. التهذيب كافور الطلعة وعاؤها الذى ينشق عنها؛ سمى كافورا لأنه قد كفرها أى غطاها، وقول العجاج:

* كالكرم إذ نادى من الكافور *

كافور الكرم الورق المغطى لما فى جوفه من العنقود شبهه بكافور الطلع؛ لأنه ينفرج عما فيه أيضا، وفى الحديث أنه كان اسم كنانة النبى ﷺ الكافور تشبيها بغلاف الطلع، وأكمام الفواكه؛ لأنها تسترها وهى فيها كالسهام فى الكنانة»[1].

فالكافور وهو وعاء طلع النخل مستعار منه، وهو اسم جنس يصدق على كثير، قد استعير لكنانة النبى ﷺ التى كان يضع فيها السهام. وتوحى هذه الاستعارة بأن كنانته ﷺ فياضة معطاء، واعدة، تمتلىء بسهام لا تكاد تنفد، فهى عامرة لا ينضب لها معين، ولا ينقطع لها مدد؛ لأن هذا الكافور يصير طلعه فى المستقبل عذقا كبيرا يمتلىء بالبسر، والرطب.

ولعله من أجل ذلك سميت مصر كنانة الله فى أرضه لأن جنودها فى رباط دائم إلى يوم القيامة.

ويلاحظ أن صاحب اللسان جعل فى وسط كلامه كافور الطلع مستعارا منه، فهو حقيقة، والمستعار له الكنانة، وأكمام الفواكه. وفى آخر كلامه جعل المستعار منه شيئين كافور الطلع، وأكمام الفواكه والمستعار له الكنانة وحدها فالاستعارة فيها.

فنجده قد عبر عن تلك الاستعارة بقوله (.. شبهه بكافور الطلع..) وقوله (.. تشبيها بغلاف الطلع..) (والكافور) استعارة، وليس تشبيها، وقد سماها تشبيها باعتبار الأصل.

ومن هذا الضرب الذى عبر فيه بالفعل (شبه) بالبناء للمجهول عن الاستعارة الأصلية ما ذكره من استعارة (الجعفر) وهو النهر للناقة الغزيرة اللبن فقد قال:

---

(١) لسان العرب ٥ / ٣٩٠٠ - ٣٩٠١ (كفر).

«الجعفر النهر عامة. . وقيل: الجعفر النهر الملآن، وبه شبهت الناقة الغزيرة قال الأزهرى أنشدنى المفضل:

من للجعافر ياقومى فقد صُريت

وقد يساق لذات الصَّرية الْحَلَبُ

. . . وبه سمى الرجل»[1].

ومعنى (صريت الناقة) حبس اللبن فى ضرعها، فهى مصرّاة قد تحفل اللبن، وتجمع فى ضرعها، وصرَى الماء جمعه.

وهذه صورة من صور الغش والتدليس، وهى ترك الناقة، أو غيرها دون حلب أياما حتى يعظم ضرعها، فيرغب فيها من يود شراءها وفى الحديث (التصرية خلابة)[2].

فالمستعار منه الجعافر، والمستعار له النوق، وهى استعارة أصلية، أشار إليها صاحب لسان العرب بقوله: (شبهت الناقة...) وليس فى الكلام تشبيه اصطلاحى، إنما هى استعارة أصلها التشبيه.

ومن هذا اللون الذى أشار فيه إلى الاستعارة الأصلية بالفعل (شبه) ما ذكره من استعارة (الْجَلْس) وهى الصخرة العظيمة للناقة الشديدة، فقد قال:

«والْجَلْسُ الصخرة العظيمة الشديدة... وناقة جلس شديدة مشرفة شبهت بالصخرة، والجمع أجلاس، قال ابن مقبل:

فأجمع أجلاسا شدادا يسوقها

إلىّ إذا راح الرعاء رعائيا

والكثير جلاس، وجمل (جَلْس) كذلك، والجمع جلاس»[3].

فالمستعار منه (الجلس) وهى الصخرة، وقد عبر عنها بالفعل (شبه) فى قوله (شبهت) بالصخرة، يقصد من ذلك التشبيه الذى بنيت عليه الاستعارة.

---

(١) لسان العرب ١/ ٦٣٦ (جعفر).

(٢) ينظر المصدر نفسه ٤/ ٢٤٤١ (صرى) – وأساس البلاغة، للزمخشرى (صرى) – والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/ ٢٧

(٣) لسان العرب ١/ ٦٥٨ (جلس).

والاستعارة فى كلمة (أجلاسا) وهى مفعول به، والقرينة كما يبدو (يسوقها . .) لأن الصخرات لا تسوقها الرعاء.

ومن ذلك أيضا ما ذكره من استعارة (الغربال) للدف الذى يضرب به، فقد قال « غربل الشيء نخله، والغربال ما غربل به معروف، غربلت الدقيق وغيره . . وفى الحديث أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال عَنى بالغربال الدف، شبه الغربال به فى استدارته »(١) .

فالغربال مستعار للدف؛ لأن كلا منهما مستدير، وقد عبر عن هذه الاستعارة الأصلية بقوله (شبه الغربال الخ) والحديث وما بعده منقول عن ابن الأثير(٢) .

ويبدو أن قرينة تلك الاستعارة هى (واضربوا عليه) لأن الضرب على النكاح، وإشهاره لا يكون بالغربال، وإنما يكون بالدف.

ومن الأصلية التى ألمع إليها (بالتشبيه) ما ذكره من استعارة (الرؤد) وهو الغصن اللدن الرخص، للفتاة الحسنة الممشوقة القوام فقد قال :

« غصن رءود، وهو أرطب ما يكون وأرخصه . . . وتراؤده كقولك تواعُدُه تميّله، وتميّحه يمينا وشمالا، والرأدَةُ بالهمزة، والرؤدة، والرءودة، على وزن فَعُولة كله الشابة الحسنة السريعة الشباب، مع حسن غذاء، وهى الرُّؤْدُ أيضا . . . وامرأةرادة فى معنى رؤد، والجارية الممشوقة قد ترأد فى مشيها، ويقال للغصن الذى نبت من سنته أرطب ما يكون وأرخصه رؤد الواحدة رؤدة وسميت الجارية رُؤْدا تشبيها به »(٣) .

(فالرؤد) ونحوه مما ذكره مستعار لهذه الفتاة، وهو اسم جنس يصدق على كثير، فهى استعارة أصلية، ألمع إليها صاحب اللسان بقوله (وسميت الجارية رؤدا تشبيها به) وليس فى كلامه تشبيه، بل استعارة أصلها تشبيه.

---

(١) المصدر نفسه ٥ / ٣٢٣١ (غربل).
(٢) ينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ / ٣٥٢.
(٣) لسان العرب ٣ / ١٥٣٢ (رأد).

ويلاحظ أن كلامه ليس فيه مثال لاستعارة (الرّؤد) لتلك الشابة وقد ظفرت بمثال قد أورده الزمخشرى، وهو بصدد الكلام عن هذا الرؤد فيما أنشده الأصمعى :

تساهم ثوباها ففى الدرع رأدة

وفى المرط لفّاوان ردفهما ثقل[1]

فقوله (فى الدرع رأدة) – فيما يظهر من سياقه – معناه فى الدرع فتاة حسنة . نشبه الغصن الناعم، والقرينة (فى الدرع) لأن الغصن لا يكون فى الدرع، وهو القميص[2] وإنما يكون فيه هذه الحسناء.

ومعنى قول الشاعر (تساهم ثوباها) إما أن يكون من المسهم وهو البرد المخطط وإما أن تكون غيرت لونهما من قولهم ساهم الوجه أى متغيره[3] .

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة (الجفاء) وهو الزبد الذى ينفيه السيل، للمتسرعين من الناس فقد قال :

« وجفأ الوادى غثاءه، يجفأ جفأ رمى بالزبد والقذى، وكذلك جفأت القدرُ رمت بزبدها عند الغليان، واسم الزبد الجُفاء، وفى حديث البراء رضى الله عنه يوم حنين انطلق جفاءٌ من الناس إلى هذا الحىّ من هوازن أراد سَرَعان الناس وأوائلهم شبههم بجفاء السيل »[4] .

وقد كرر صاحب اللسان هذا الحديث، وما فيه من استعارة فى موضع آخر فقال : « .. وفى حديث حنين خرج جفاء من الناس قال ابن الأثير هكذا جاء فى رواية قالوا ومعناه سرعان الناس، وأوائلهم تشبيها بجفاء السيل، وهو ما يقذفه من الزبد، والوسخ، ونحوهما »[5] .

---

(١) أساس البلاغة (رأد) .

(٢) فى لسان العرب ودرع المرأة قميصها ٢ / ١٣٦١ (درع) .

(٣) ينظر لسان العرب ٣ / ٢١٣٥ – ٢١٣٦ (سهم) .

(٤) لسان العرب ١ / ٦٣٩ (جفأ) .

(٥) المصدر نفسه ١ / ٦٤٦ (جفن) والنهاية فى غريب الحديث والأثر ١ / ٢٧٧

وسياق الحديث ينبىء أن هؤلاء الناس أشرار من حثالة الناس وسقاطهم، يشبهون الأقذاء، والأوساخ التي يجرفها السيل من الوادى وينقيه منها، قال تعالى: ﴿ .. فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً .. ﴾ [الرعد: ١٧] أى يجفؤه السيل ويرمى به[١].

ويبدو أن قوله فى الحديث (.. من الناس) تجريد للاستعارة؛ لأنه ملائم للمستعار له، وهم رعاع الناس وأراذلهم.

ومن ذلك ما أشار إليه من استعارة (الجعس) و (الجعسوس) وهو العذرة، للئيم الردىء من الرجال فى خلقه، وخلقه فقد قال: «الجَعْسُ العذرة ... والجُعسوس اللئيم الخِلقة والخلق ... وكأنه اشتق من الجعس صفة على فعلول، فشبه الساقط المهين من الرجال بالخُرْءِ ونَتْنه ... وفى حديث عثمان رضى الله عنه لما أنفذه النبى ﷺ إلى مكة نزل على أبى سفيان فقال له أهل مكة ما أتاك به ابن عمك؟ قال سألنى أن أخلى مكة لجعاسيس يثرب، الجعاسيس اللئام فى الخلْق والخلق الواحد جُعسوس بالضم ومنه الحديث أتخوفنا بجعاسيس يثرب»[٢].

فالاستعارة فى كلمة (جعاسيس) المجرورة باللام مرة، وبالباء أخرى، استعار أبو سفيان وكان لا يزال مشركا عذرات الناس، لأهل يثرب من الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم، ذما لهم، واستخفافا بهم، ولعل قرينة هذه الاستعارة هى إضافة (جعاسيس) ليثرب، وقد عبر عنها صاحب اللسان بقوله: (فشبه الساقط المهين من الرجال بالخرء ونتنه ...) وليس فى الكلام تشبيه اصطلاحى، وإنما فيه استعارة أصلية.

وقد نقل مضمونها من قول ابن الأثير «فى حديث عثمان رضى الله عنه لما أنفذه النبى ﷺ إلى مكة نزل على أبى سفيان فقال له أهل مكة ما أتاك به ابن عمك؟ فقال سألنى أن أخلى مكة لجعاسيس يثرب الجعاسيس اللئام فى الخلق

---

(١) ينظر الكشاف ٢ / ٢٨٥

(٢) لسان العرب ١ / ٦٣٤ (جعس) – وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ١ / ٢٧٦

والخلق الواحد جعسوس بالضم، ومنه الحديث الآخر أتخوفنا بجعاسيس يثرب »[١] .

ومن ذلك استعارة (المفاليق) وهم المفلسون من المال، للجهلة الخاوين من العلم، فقد قال : « والفيلق الجيش، والجمع الفيالق . . . وفى حديث الشعبى وسئل عن مسألة فقال ما يقول فيها هؤلاء المفاليق؟ هم الذين لا مال لهم، الواحد مفلاق كالمفاليس، شبه إفلاسهم من العلم، وعدمه عندهم بالمفاليس من المال »[٢] .

فمن معانى المفاليق على الحقيقة المفلسون المعدمون من المال، وقد استعار (الشعبى) هؤلاء المفاليق، للصغر من العلم، الخالين من المعرفة، وقد أشير إلى تلك الاستعارة الأصلية بالفعل (شبه) باعتبار الأصل.

ولفظ المفاليق وقع بدلا من اسم الإشارة هؤلاء، وهو فاعل ويفهم من سياقها أن قرينتها حالية، يدل عليها مقام الكلام.

ومن ذلك ما ذكره من استعارة (القتير) وهو رءوس مسامير الدروع للشيب فى البياض فقد قال : « والقتير الشيب وقيل هو أول ما يظهر منه، وفى الحديث أن رجلا سأله عن امرأة أراد نكاحها قال وبقدر أى النساء هى؟ قال قد رأت القتير . قال دعها، القتير المشيب، وأصل القتير رءوس مسامير حلق الدروع تلوح فيها، شبه بها الشيب إذا نقب فى سواد الشعر »[٣] .

الاستعارة كما لا يخفى فى كلمة (القتير) من قوله : (قد رأت القتير وهى مفعول به، وقد أشار إليها بالفعل (شبه) باعتبار أن أصلها التشبيه، وهى من استعارة المحسوس للمحسوس، ومعنى نقب فى سواد الشعر ظهر عليه[٤] ويبدو أن قرينتها حالية يدل عليها سياق الكلام.

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر ١ / ٢٧٦ .
(٢) لسان العرب ٥ / ٣٤٦٤ (فلق) – وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ / ٤٧٢ .
(٣) لسان العرب ٥ / ٣٥٢٦ (قتر) . وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤ / ١٢ .
(٤) ينظر لسان العرب ١ / ٤٩٢ .

ومن الأصلية التى سماها تشبيها ما ذكره من استعارة (اليعسوب) وهو أمير النحل، وذكرها، للرئيس والمتفرد من الناس فقد قال: « .. واليعسوب أمير النحل وذكرها، ثم كثر ذلك حتى سمى كل رئيس يعسوبا... وفى حديث على يصف أبا بكر رضى الله عنهما كنت للدين يعسوبا أولا حين نفر الناس عنه، اليعسوب الرئيس والمقدم، وأصله فحل النحل... وفى حديث على رضى الله عنه أنه مر بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد مقتولا يوم الجمل فقال لهفى عليك يعسوب قريش... يعسوب قريش سيدها شبهه فى قريش بالفحل فى النحل»[1].

وقد لحظت أن كلمة (يعسوب) فى الكلام الذى نقلته آنفا وقعت مرة مشبها به، ومرة استعارة. ففى قول على يصف أبا بكر رضى الله عنهما فيما يبدو أنه رثاء له، وذكر لمآثره (كنت للدين يعسوبا) وقعت مشبها به، وذلك استعمال حقيقى؛ لأن ما حذفت فيه أداة التشبيه وكان المشبه به خبرا للمشبه، أو فى حكم الخبر فهو تشبيه[2].

أما فى قوله يتحسر على قتل صاحبه يوم الجمل (لهفى عليك يعسوب قريش) فهى استعارة، وظاهر أنها منادى حذفت منه أداة النداء تقديره يايعسوب قريش، وقد أشار إليها بقوله (شبهه..) ويبدو أن قرينتها إضافة يعسوب[3] إلى قريش.

وإذا كان اليعسوب قد استعير للرئيس والمقدم من الناس، فقد ذكر صاحب لسان العرب أن الجماجم وهى عظام الرءوس تستعار لرؤساء الناس، وساداتهم فقد قال: «الجم والجمم الكثير من كل شىء، ومال جم كثير... والجمجمة عظم

---

(١) المصدر نفسه ٤ / ٢٩٣٦ (عسب).

(٢) ينظر الإيضاح، للخطيب القزوينى /٧ مع (البغية).

(١) لعل من المفيد أن أشير إلى أن صاحب اللسان ذكر فى آخر مادة (عسب) أن اليعسوب اسم فرس سيدنا رسول الله ﷺ، واسم فرس الزبير بن العوام رضى الله عنه.

الرأس المشتمل على الدماغ . وجماجم القوم ساداتهم سموا بذلك تشبيها بذلك وجماجم العرب رؤساؤهم»[1] .

وبناء على ما ذكره يمكن أن يقال - مثلا - حضر الحفل جماجم القوم أى ساداتهم، وقد أومأ إلى تلك الاستعارة بكلمة تشبيه فى قوله: (سموا بذلك تشبيها بذلك) .

وفى هذا الصدد، وعلى تلك الوتيرة ما ذكره من استعارة (البدر) لسيد القوم فقد قال: «وبدر القوم سيدهم على التشبيه بالبدر قال ابن أحمر:

وقد نضرب البدر اللجوج بكفه عليه ونعطى رغبة المتودد»[2]

ومن هذا القبيل ما ذكره من استعارة (الأقماع) التى تفرغ فيها السوائل، ولا يبقى فيها أثر منها، لآذان الناس الذين يسمعون المواعظ، ولا يعملون بها فقد قال: «والقمَع، والقِمع ما يوضع فى فم السقاء، والزق، والوطب[3] ثم يصب فيه الماء، والشراب، أو اللبن سمى بذلك لدخوله فى الإناء... والجمع أقماع... والأقماع الآذان والأسماع، وفى الحديث ويل لأقماع القول، ويل للمصرين، قوله ويل لأقماع القول يعنى الذين يسمعون القول، ولا يعملون به... شبه آذانهم وكثرة ما يدخلها من المواعظ وهم مصرون على ترك العمل بها بالأقماع التى تفرغ فيها الأشربة، ولا يبقى فيها شىء منها، فكأنه يمر عليها مجازا، كما يمر الشراب فى الأقماع اجتيازا»[4] .

فالأقماع فى الأصل ما توضع فى الآنية، لتجتازها السوائل، وتعبرها، وقد استعيرت للآذان، التى تمر بها المواعظ، والنصائح، ولا يفيد أَصْحَابُها شيئا، فكأنها مجاز، ومعبر يدخل فيها الكلام ثم يخرج دون أن يجدى أو ينجع.

---

(١) لسان العرب ١ / ٦٨٩ (جمم) . (٢) المصدر نفسه ١ / ٢٢٩ (بدر) .

(٣) الوطب سقاء اللبن خاصة وجمعه أوطب وأوطاب . ينظر لسان العرب ٦ / ٤٨٦٥ (وطب) .

(٢) المصدر نفسه ٥ / ٣٧٤٠ ، ٣٧٤١ (قمع) . وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤ / ١٠٩ .

وهذه استعارة أصلية، جاءت مجرورة باللام (لأقماع القول) وقرينتها فيما يبدو إضافة (أقماع) لكلمة (القول) وقد أشار إليها بالفعل (شبه..) وقد أجرى هذه الاستعارة إجراء كاملا، ولم يبق إلا التصريح بلفظها.

وهذه صورة رائعة من البيان النبوى الشريف فيها ذم، وقدح لهؤلاء الناس الذين يستمعون أطيب القول، ولا يتبعون شيئا منه، وفيها كذلك تنفير من هذه الصفة المرذولة، وزجر عنها.

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة البيضة من الحديد، لاجتماع القوم، والتئام شملهم فقد قال: « والبيضة واحدة البيض من الحديد، وبيض الطائر جميعا، وبيضة الحديد معروفة، والجمع بيض، وفى التنزيل العزيز ﴿ **كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ** ﴾ [الصافات: ٤٩] ويجمع البيض على بيوض.. »[١] .

فالبيضة تطلق على بيضة الطير، وبيضة الحديد على سبيل الحقيقة، كما ينبىء بذلك كلامه المتقدم، ولكنه أضاف قائلا: « وبيضة القوم أصلهم، والبيضة أصل القوم ومجتمعهم، يقال أتاهم العدو فى بيضتهم، وقوله فى الحديث ولا تسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيح بيضتهم يريد جماعتهم وأصلهم أى مجتمعهم، وموضع سلطانهم، ومستقر دعوتهم أراد عدوا يستأصلهم، ويهلكهم جميعهم... فكأنه شبه اجتماعهم، والتئامهم ببيضة الحديد، ومنه حديث الحديبية ثم جئت بهم لبيضتك تفضها[٢] أى أصلك وعشيرتك »[٣] .

فالاستعارة الأصلية فى (بيضة) من قوله (أتاهم العدو فى بيضتهم) وقوله (فيستبيح بيضتهم) وقوله (ثم جئت بهم لبيضتك..) استعيرت بيضة الحديد للأصل والتجمع، والتئام الشمل، استعارة محسوس لمعقول.

وقد أشار إلى هذه الاستعارة بالفعل (شبه) وذكر المستعار منه، أعنى بيضة الحديد، والمستعار له، وهو اجتماعهم فى قوله (شبه اجتماعهم، والتئامهم ببيضة الحديد).

---

(١) لسان العرب ١ / ٣٩٨ (بيض).

(٢) فضها – أى خرقها – المعجم الوجيز (فضض).

(٣) لسان العرب ١ / ٣٩٩ (بيض) . وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ١ / ١٧٢ .

ومن ذلك ما ذكره من استعارة العنتر وهو الذباب للإنسان تصغيرا لشأنه فقد قال: «العنتر الشجاع، والعنترة الشجاعة فى الحرب... وعنتر وعنترة اسمان منه... والعنتر، والعنترة كله الذباب، وفى حديث أبى بكر وأضيافه - رضى الله عنهم - قال لابنه عبد الرحمن ياعنتر هكذا جاء فى رواية، وهو الذباب شبهه به تصغيرا له وتحقيرا..»(١).

وقد بدت لى ملاحظة من خلال كلام صاحب اللسان حول هذه الاستعارة، والتى قبلها أعنى استعارة بيضة الحديد لاجتماع القوم، وشدة تماسكهم مؤداها أن الكلمة إذا كان لها عدة معان حقيقية متساوية فى درجتها، تستعار من أحد هذه المعانى دون غيره على حسب الغرض المروم منها، ويحدد السياق المعنى المراد بها.

وقد تجلى ذلك فى استعارة بيضة الحديد، دون بيضة الطائر، لأن الغرض منها قوة ترابط القوم، واجتماع شملهم، وتآزرهم، وبيضة الطائر تؤدى عكس هذا المطلوب، وكذلك استعير (عنتر) بمعنى الذباب، دون الشجاعة، لأن الغرض منها هو التحقير، وتهوين أمر المستعار له.

ومن هذا اللون الذى سمى الاستعارة فيه تشبيها ما ذكره من استعارة الباقعة، وهو الطائر الحذر، للإنسان الشديد الحذر والاحتيال، فقد قال: «.. والباقعة عند العرب الطائر الحذر المحتال الذى يشرب الماء من البقاع، والبقاع مواضع يستنقع فيها الماء، ولا يرد المشارع، والمياه المحضورة خوفا من أن يحتال عليه فيصطاد، ثم شبه به كل حذر محتال»(٢).

ولم يمثل صاحب اللسان فى كلامه المتقدم لاستعارة الباقعة للإنسان الحذر، وعمم فى كلامه حين قال: (.. ثم شبه به كل حذر محتال) وعلى ذلك يمكن حمل كلامه على التشبيه الاصطلاحى فيقال كما جاء فى بعض المراجع اللغوية

---

(١) لسان العرب ٤ / ٣١٢٢ (عنتر). والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ / ٣٠٧.
(٢) لسان العرب ١ / ٣٢٧ (بقع).

وهو باقعة من البواقع للكيس الداهية من الرجال[1] لأن المشبه والمشبه به مذكوران، ويمكن أن يقال على سبيل الاستعارة قاد المحاربين فى هذه المعركة باقعة فانتصروا على عدوهم ونحو ذلك.

ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة (الغربان) أى سوادها، لخمر النساء، إذا كانت سوداء اللون واستعارة الغراب لسواد الشعر زمن الشباب، فقد قال: «والغراب الطائر الأسود والجمع أغربة وأغرب، وغربان، وغرب... ويقولون – أى **العرب** – طار غراب فلان إذا شاب رأسه... وفي حديث عائشة لما نزل قوله تعالى: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١] فأصبحن على رءوسهن **الغربان**، شبهت الخُمر بالغربان جمع غراب... وقوله:

زمان على غراب غداف　　فطيره الشيب عنى فطارا

إنما عنى به شدة سواد شعره زمان شبابه، وقوله فطيره الشيب لم يرد أن جوهر الشعر زال، لكنه أراد أن السواد أزاله الدهر، فبقى الشعر مبيضا»[2].

هذا الكلام يتضمن استعارتين:

إحداهما – استعارة (الغربان) للخمر السوداء التى وضعتها النساء على رءوسهن فى قول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها (فأصبحن على رءوسهن **الغربان**) أى الخمر، وقد أشار إليها صاحب اللسان بقوله: (شبهت الخمر **بالغربان**) فأطلق عليها التشبيه باعتبار الأصل.

الثانية – استعارة الغراب لسواد شعر الإنسان إبان شبابه فى قول الشاعر:

زمان على غراب غداف... (البيت)

وهذه الاستعارة مفهومة من تناوله لمعنى غراب غداف، والغداف هو **الغراب**[3] ولعله تأكيد بالمرادف.

---

(١) غراس الأساس (بقع).
(٢) لسان العرب ٥ / ٣٢٢٩ (غرب). وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ / ٣٥٢
(٣) ينظر لسان العرب ٥ /٣٢١٨ (غدف).

ومن ذلك اللون ما ذكره من استعارة (النسر) للشيب فى البياض، وقد جاءت هذه الاستعارة مقترنة باستعارة (ابن دأية) أى الغراب للشباب فى السواد - أى سواد شعر الشباب - فى بيت من الشعر، فقد قال : « واللغز واللغز ما ألغز من كلام فشبه معناه[1] مثل قول الشاعر:

ولما رأيت النسر عـــز ابن دأيـــة

وعشش فى وكريه جاشت له نفسى

أراد بالنسر الشيب شبهه به لبياضه، وشبه الشباب بابن دأية وهو الغراب الأسود؛ لأن شعر الشباب أسود »[2] .

فاستعارة (النسر) للشيب أصلية، وقد ألمع إليها بقوله : (شبهه به لبياضه) أى شبه الشيب بالنسر فى البياض، وهو بذلك يشير إلى أطراف تلك الاستعارة، المستعار له الشيب، والمستعار منه النسر، والجامع البياض، وذكر أنها تشبيه باعتبار الأصل. واستعارة (ابن دأية) أى الغراب للشباب أصلية ولمع إليها بقوله : (وشبه الشباب بابن دأية، وهو الغراب الأسود . . .) .

أى شبه الشباب - أى شعره - بالغراب .

وفى ذلك إشارة لأطراف هذه الاستعارة، فالمستعار له الشباب، والمستعار منه الغراب، والجامع السواد . وأطلق عليها الفعل (شبه) باعتبار الأصل .

وقد بين فى كلامه المتقدم أن (ابن دأية) هو الغراب الأسود، لكنه لم يبين لنا فى هذا الموضع معنى الدأية، ولم سمى الغراب بذلك؟

وقد بين ذلك فى موضعه من مواد اللسان، فذكر أن « الدأى جمع الدأية وهى فقار الكاهل فى مجتمع ما بين الكتفين من كاهل البعير خاصة »[3] .

وبين فى موضع آخر سبب تسمية الغراب بابن دأية فقال « وابن دأية

---

(١) اللغز الكلام الذى لبس معناه . ينظر لسان العرب ٥ / ٤٠٤٧ (لغز) .

(٢) المصدر نفسه والموضع (٣) المصدر نفسه ٢ / ١٣١٣ (دأى)

الغراب؛ سمى بذلك لأنه يقع على دأية البعير فينقرها، وقال الشاعر يصف الشيب:

ولما رأيت النسر عز ابن دأية

وعشش فى وكريه جاشت له نفسى»[1]

بقى فى الاستعارتين شيء لم يحم حوله صاحب اللسان، وهو ترشيح الاستعارتين وقد عرض له الزمخشري، وهو بصدد بيان الترشيح فى قوله تعالى: ﴿أولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ..﴾ [البقرة: ١٦] فقال: (لما شبه الشيب بالنسر، والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر)[2].

والمراد (بوكريه) الرأس واللحية، والتعشيش، والوكران يناسبان النسر، والغراب المستعار منهما فذكرهما ترشيح، وتقوية للاستعارة، لأن فيه مبالغة بتناسى الاستعارة[3].

ومعنى البيت أن الشاعر لما رأى الشيب قد اشتعل فى رأسه ولحيته، ومحا الشعر الأسود، واحتل مكانه، حزن، واشمأزت نفسه، وضاق صدره، وشعر بالغثيان.

ومن هذا النمط الذى صرح فيه بالفعل (استعار) ما ذكره من استعارة (حموشة الساقين) أى دقتهما، لدقة البدن كله فقد قال: «والحُمشُ والْحُمُوشة والحَمَاشة الدقة، ولِثَةٌ حمشة دقيقة حسنة، وهو حَمْش الساقين والذراعين بالتسكين... دقيقهما، وذراع حَمْشة... وكذلك الساق والقوائم... وقد حَمُشت ساقه.. إذا دقت، وكان عبد الله بن مسعود حَمْش الساقين»[4].

فحماشة هذه الأعضاء التى ذكرها: الساقان، واللثة، والذراعان، والذراع،

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ١٣١٤ (دأى). (٢) الكشاف ١/ ٣٧.
(٣) ينظر شواهد الكشاف / ٤٠ ، والإيضاح للخطيب القزوينى/ ١٤١ (البغية).
(٤) لسان العرب ٢/ ٩٩٥ (حمش).

والقوائم هى دقتها، ولم يد ك ن هذه الصفه حميدة حسنة إلا فى اللثة فى قوله (ولثة حمشة دقيقة حسنة أما الأعضاء الباقيه. فقد صرح بأنها دقيقة هكد عفلا دون مدح أو قدح

ويبدو أنها صفة دم فيما عدا اللثة، ويعزز ذلك سياق الحديث الذى جاء فى دقة ساقى عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - فقد وجدت فى مسند الإمام أحمد حديثا مرويا عن ابن مسعود أنه كان يجتنى سواكا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ م تضحكون؟ قالوا يانبى الله من دقة ساقيه فقال والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أحد[1]

واضح من كلام صاحب اللسان أن وصف هذه الأعضاء التى ذكرها حقيقة لا مجاز فيه.

ولذلك قال عقب كلامه المتقدم «وفى حديث الزنا فإذا رجل حمش الخلق، استعاره من الساق للبدن كله أى دقيق الخلقة»[2] والشىء الدقيق الذى لا غلظ له[3]

فصفة (حمش الخلق) مستعارة من حموشة الساق، أو الساقين، لحموشة الجسم كله، ودقته استعارة محسوس لمحسوس

ثالثتها - أن يجمع فى التعبير عنها بين التشبيه، والاستعارة

ومن ذلك ما ذكره من استعارة (الندبة) بالتحريك والفتح، وهى أثر الجرح الذى يبقى فى الجلد، لأثر ضرب موسى - عليه السلام - الحجر بعصاه، وأيضا لأثر الهجاء فى أعراض المهجوين. فقد قال « الندبة أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، والجمع ندب، وأنداب وندوب .»[4] وهذا استعمال حقيقى للندبة

---

(١) مسند أحمد جـ ٧ الحديث رقم ٣٩٩١

(٢) لسان العرب ٢ ٩٩٦ (حمش) وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر. لابن الأثير ١ ٤٤١ (حمش)

(٣) لسان العرب ٢ ٤٠ (دقق) (٤) لسان العرب ٦ ٤٣٧٩ (ندب)

ثم ذكر بعد ذلك استعارتها لأثر الضرب فى الحجر فقال: «وفى حديث موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وإن بالحجر ندبا ستة، أو سبعة من ضربه إياه، **فشبه** أثر الضرب فى الحجر بأثر الجرح»[١] .

فالاستعارة فى كلمة (ندبا) وهى اسم إن مؤخر، وظاهر أنها أصلية، وقد عبر عنها بالتشبيه فى قوله (فشبه أثر الضرب.. إلخ) وهى استعارة محسوس لمحسوس، ولعل فيها تلويحا إلى شدة موسى عليه السلام، وقوته، وقد أشار القرآن الكريم إلى قوته فى قوله تعالى: ﴿ .. **فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ**﴾ [القصص: ١٥] أى ضربه بيده فأرداه قتيلا[٢] .

ثم أردف ذلك باستعارة (الندبة) لأثر الهجاء فى الأعراض وثلمها، فقال: «**واستعاره** بعض الشعراء للعرض فقال:

نبئت قافية قيلت تناشدها ... قوم سأترك فى أعراضهم ندبا

أى أجرح أعراضهم بالهجاء، فيغادر فيها ذلك الجرح ندبا»[٣] أى إنه سيحدث في أعراضهم جرحا لا يندمل، وأثرا لا ينمحى، لتجرئهم على تناشد الشعر فيه، وذمه، وقد عبر عن الشعر بالقافية وهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية وهو مجاز مشهور كما فى قول الشاعر:

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رمانى

وكم علمته نظم القوافى ... فلما قال قافية هجانى

وغير خاف أن الاستعارة الأخيرة فى كلمة (ندبا) فى عجز البيت، وهى مفعول به، وقد عبر عنها بالاستعارة فى قوله (واستعاره بعض الشعراء للعرض) والملحظ هنا أنه عبر عن استعارة واحدة مرة بالتشبيه، باعتبار الأصل، ومرة بالاستعارة، ونفيد من ذلك أن الكلمة الواحدة يمكن أن تستعار للذات،

---

(١) المصدر نفسه ٦ / ٤٣٨٠ .

(٢) ينظر – مثلا – التفسير الكبير للفخر الرازى ١٢ / ٢ / ٢٣٤ .

(٣) لسان العرب ٦ / ٤٣٨٠ (ندب) .

والجوهر، أى الشىء المحسوس. وتستعار مرة أخرى للعرض، أو للشىء المعقول. فهى معطاء ثرية.

ومن هذا النوع كذلك ما ذكره من استعارة الضحضاح، وهو القليل من الماء على وجه الأرض للقليل من النار يوم القيامة فقد قال: «والضحضح والضحضاح الماء القليل يكون فى الغدير وغيره، والضحل مثله... وماء ضحضاح أى قريب القعر، وفى حديث أبى المنهال فى النار أودية فى ضحضاح، شبه قلة النار بالضحضاح من الماء فاستعاره فيه، ومنه الحديث الذى يروى فى أبى طالب وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح، وفى رواية إنه فى ضحضاح من نار يغلى منها دماغه، والضحضاح فى الأصل ما رقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، واستعاره للنار»[1].

فجمع بين التشبيه والاستعارة، وهو يتناول هذه الاستعارة فى قوله: (شبه قلة النار بالضحضاح من الماء فاستعاره فيه) وظاهر أنها استعارة أصلية، وقد كرر فى عجز كلامه المذكور أن الضحضاح استعير للقليل من النار.

ويقابل الضحضاح الطمطام، وهو الماء الكثير، ويستعار للنار العميقة القعر، سحيقة الأعماق، وقد أورد صاحب اللسان هذه الاستعارة فى موضعها من لسانه فقال: «والطمطام النار الكبيرة... وفى الحديث أن النبى ﷺ - قيل له هل نفع أبا طالب قرابته منك؟ قال بلى وإنه لفى ضحضاح من نار، ولولاى، لكان فى الطمطام أى فى وسط النار، وطمطام البحر وسطه، استعاره ههنا لمعظم النار حيث استعار ليسيرها الضحضاح وهو الماء القليل الذى يبلغ الكعبين»[2].

وقد صرح بلفظ (استعار) وحده فى الأخيرة، ولكننى ذكرتهما متجاورتين هنا لما بينهما من شدة التآزر، والترابط، ووحدة الغرض، والهدف.

رابعتها - أن يعبر عن الاستعارة الأصلية (بالمثل) ومن ذلك ما ذكره من

---

(١) لسان العرب ٤ / ٢٥٥٧ (ضحضح). والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ / ٧٥.

(٢) لسان العرب ٤ / ٢٧٠٦ (طمطم). والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ / ١٣٩

استعارة الصلعاء وهى التى ذهب مقدم شعر رأسها، للداهية الشديدة فقد قال: «الصلع ذهاب الشعر من مقدم الرأس إلى مؤخره، وكذلك إن ذهب وسطه.. وهو أصلع بيِّن الصلع.. والصلعاء الداهية الشديدة على المثل أى أنه لا متعلق منها، كما قيل لها مرمريس من المراسة أى الملاسة، يقال لقى منه الصلعاء»[1].

واضح أن (الصلعاء) مستعار منه، وقد استعيرت للداهية الشديدة التى لا نجاة، ولا خلاص منها، وهذا مثل قولهم للداهية مرمريس أى أنها كالصخرة الملساء التى لا يمكن أن يتعلق بها من وقع فى ورطة لشدة مراستها، وملاستها، وقد عبر عنها صاحب اللسان بقوله: (والصلعاء الداهية الشديدة على المثل..).

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة العقد، والعناج للعهد فقد قال: «العناج خيط أو سير يشد فى أسفل الدلو ثم يشد فى عروتها أو عرقوتها» وأضاف قائلا: «ثم قال الحطيئة يمدح قوما عقدوا لجارهم عهدا فوفوا به ولم يخفروه:

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم   شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا[2]

وهذه أمثال ضربها لإيفائهم بالعهد... وقد عنج الدلو يعنجها عنجا عمل لها ذلك يقال: إنى لأرى لأمرك عناجا أى ملاكا مأخوذ من عناج الدلو وأنشد الليث:

وبعض القول ليس له عناج   كسيل الماء ليس له إناء»[3]

فالعناج المشدود، والحبل المعقود، وهما من الأشياء المحسوسة استعيرا للوفاء بالعهد.

وقد صرح بهذه الاستعارة صاحب الكشاف عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] فقال: «العقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه، قال الحطيئة:

---

(١) لسان العرب ٤ / ٢٤٨٢ (صلع).

(٢) الكرب الحبل الذى يشد على الدلو ينظر لسان العرب ٥ / ٣٨٤٦ (كرب).

(٣) لسان العرب ٤ / ٣١٢٢ (عنج).

قوم إذا عقدوا لجارهم .. (البيت) [١]

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة الإبّالة وهى الحزمة من الحشيش والحطب للمصائب، والبلايا فقد قال: «والأبيل والأبيلة والإبالة الحزمة من الحشيش، والحطب التهذيب والإيبالة الحزمة من الحطب، ومثل يضرب ضغث على إيبالة أى زيادة على وقر، قال الأزهرى، وسمعت العرب تقول ضغث على إبالة غير ممدود ليس فيها ياء، وكذلك أورده الجوهرى أيضا أى بلية على أخرى كانت قبلها» [٢] .

فالإبالة شيء محسوس كما بين ووضح، والضغث، وهو من الكلمات القرآنية التى يألفها المسلم فى قوله تعالى: ﴿ **وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ** ﴾ [ص: ٤٤] – هو الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك [٣] . وذلك شيء محسوس أيضا. استعير كل منهما للبلة، أى نزلت به بلية، على أخرى نزلت قبلها وقد قيل المصائب لا تأتى فرادى. وقد سماهما صاحب اللسان اتباعا للغويين الذين نقل عنهم (مثلا).

ويمكن اعتبار ذلك من قبيل الاستعارة التمثيلية، استعيرت صورة وضع حزمة من الحشيش أو الريحان على حزمة أخرى من الحطب، لصورة بلية حلت ونزلت بساحةِ من نزلت به أخرى قبلها أدهى وأمر.

ومن ذلك النوع ما ذكره من استعارة الأعمى للكافر، والبصير للمؤمن، ونحو ذلك من الاستعارات فقد قال: «وقوله تعالى ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ...** ﴾ [فاطر: ١٩ – ٢١] قال الزجاج هذا مثل ضربه الله للمؤمنين والكافرين والمعنى وما يستوى الأعمى عن الحق وهو الكافر، والبصير وهو المؤمن الذى يبصر رشده، ولا الظلمات ولا النور، الظلمات الضلالات، والنور الهدى، ولا الظل ولا الحرور أى لا يستوى أصحاب الحق الذين هم فى ظل من الحق، ولا أصحاب الباطل الذين هم فى حر دائم» [٤] .

---

(١) الكشاف ١ / ٣٢٠

(٢) لسان العرب ١ / ١١ (أبل).

(٣) الكشاف ٣ / ٣٣٠

(٤) لسان العرب ٤ / ٣١١٦ (عمى).

فهذه استعارات أصلية وقد ارتضى صاحب اللسان ما ارتضاه الزجاج من أنها (مثل) أو إن شئنا التحديد أمثال للمؤمن والكافر .

ولعل صاحب الكشاف قد ارتضى هذه الوجهة، وأن ما فى هذه الاستعارات أمثال للمؤمن، والكافر فقد قال :

« [الأعمى والبصير] مثل للكافر، والمؤمن... والظلمات والنور، والظل والحرور مثلا للحق والباطل، وما يؤديان إليه من الثواب والعقاب، والأحياء والأموات مثل للذين دخلوا فى الإسلام، والذين لم يدخلوا فيه، وأصروا على الكفر.. »[١] .

ومن هذا الضرب الذى أطلق فيه على الأصلية كلمة المثل ما ذكره من استعارة الجبهة لسيّد القوم فقال :

« وجبهة القوم سيدهم على المثل »[٢]

وكذلك إطلاق العرانين على سادة القوم فقد قال :

« وعرانين الناس وجوههم وعرانين القوم سادتهم وأشرافهم على المثل »[٣] .

ومن هذا الضرب الذى اعتبر الاستعارة الأصلية فيه مثلا ما ذكره من استعارة (الذواق) وهو المأكول والمشروب، للعلم، والأدب، فقد قال :

« الذوق مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقا، وذواقا، ومذاقا، فالذواق والمذاق يكونان مصدرين، ويكونان طعما كما تقول ذواقه ومذاقه طيب، والمذاق طعم الشيء، والذواق هو المأكول والمشروب، فى الحديث لم يكن يذم ذواقا... وفى الحديث كانوا إذا خرجوا من عنده لا يتفرقون إلا عن ذواق، ضرب الذواق مثلا لما ينالون عنده من الخير أى لا يتفرقون إلا عن علم، وأدب يتعلمونه يقوم لأنفسهم وأرواحهم مقام الطعام والشراب لأجسادهم »[٤] .

---

(١) الكشاف ٣ / ٢٧٣

(٢) لسان العرب ١ / ٥٤٠ (جبه) .

(٣) المصدر السابق ٤ / ٢٩١٧ (عرن)

(٤) لسان العرب ٣ / ١٥٢٦ (ذوق) .

والذى يهمنا من كلام صاحب اللسان الآنف الذكر أن المذاق والذواق يكونان مصدرين للفعل (ذاق) كل منهما يدل على المعنى دون الذات - كما هو معلوم مشهور - ويكونان طعما للشيء كما فى قولنا ذواقه طيب، ومذاقه طيب، والذواق أيضا يأتى بمعنى المأكول والمشروب، ومنه ما ذكر فى الحديث من أنه ﷺ لم يكن يذم ذواقا أى مأكولا أو مشروبا، وهذا على سبيل الحقيقة. وقد استعير بهذا المعنى المحسوس لما يفيد الإنسان ويغذى روحه من الأمور المعنوية كالعلم، والأدب.

وقد تجلى ذلك فى الحديث الذى ذكره فى عجز كلامه المتقدم، وقد أطلق على هذه الاستعارة كلمة (مثلا) أو على حد تعبيره (ضرب الذواق مثلا لما ينالون عنده) .

وهى كما يبدو استعارة أصلية استعير فيها المحسوس للمعقول، وهو فى هذا ناقل عن ابن الأثير، وآخذ عنه، فقد قال ابن الأثير: « ومنه الحديث: كانوا إذا خرجوا من عنده - أى من عند رسول الله ﷺ - لا يتفرقون إلا عن ذواق ضرب الذواق مثلا لما ينالون عنده من الخير أى لا يتفرقون إلا عن علم وأدب يتعلمونه يقوم لأنفسهم وأرواحهم مقام الطعام والشراب لأجسامهم »[١] .

خامستها - أن يجمع بين الاستعارة والمثل كما ذكر من استعارة (الورطة) وهى الهوة العميقة فى الأرض، للشدة، أو البلية فقد قال: « والورطة الوحل والردغة تقع فيها الغنم فلا تقدر على التخلص منها يقال تورطت الغنم إذا وقعت فى ورطة، ثم صار مثلا لكل شدة وقع فيها الإنسان »[٢] .

فالورطة التى تقع فيها الغنم حقيقة، أما لو قيل وقع فلان فى ورطة أى فى شدة يعسر التخلص منها، فإنها استعارة أصلية - كما لا يخفى - وقد سماها مثلا.

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ / ١٧٢ .
(٢) لسان العرب ٦ / ٤٨١٣ (ورط) .

وقد صرح فى الموضع نفسه بأنها استعارة أيضا حين قال: « .. وقيل الورط أن يجعل الغنم فى وهدة من الأرض لتخفى على المصدّق أى الذى يأخذ الصدقة وهى الزكاة كما يفهم من السياق - مأخوذ من الورطة وهى الهوة العميقة فى الأرض، ثم استعير للناس إذا وقعوا فى بلية يعسر المخرج منها »[1].

فالورطة فى الأصل الهوة، أو الوهدة، توضع فيها الغنم، لإخفائها عن جامع الزكاة، هروبا، أو تهربا، شنشنة قديمة حديثة، وإن اختلفت السبل، والوسائل، وألوان الغش والخداع عند هؤلاء المتهربين.

وقد عبر عنها بأخرة بقوله (ثم استعير للناس) إلخ فعاقب بين الاستعارة والمثل، وهو يعرض لاستعارة واحدة.

ومن ذلك الضرب ما ذكره من استعارة (الربقة) وهى العروة التى توضع فى رقبة البهيمة، أو رجلها ابتغاء المحافظة عليها، لأوامر الإسلام، ونواهيه، وأحكامه، وحدوده فقد قال:

« وأخرج ربقة الإسلام من عنقه فارق الجماعة، ويروى عن حذيفة من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، الربقة فى الأصل عروة فى حبل يجعل في عنق البهيمة، أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام يعنى ما يشد به المسلم به نفسه من عرى الإسلام أى حدوده، وأحكامه، وأوامره ونواهيه »[2].

فالربقة، أو الربق فى الأصل العروة، أو الحبل، أو الحلقة تشد بها الغنم، أو البهائم عامة، والجمع أرباق، ورباق، وربق[3].

وقد استعيرت (الربقة) لتعاليم الإسلام التى التزم بها المسلم، وهى من استعارة المحسوس للمعقول.

وقد ذكر صاحب اللسان فى الموضع نفسه أنه يقال فرج عنه ربقته أى كربته

---

(١) المصدر نفسه والموضع .
(٢) لسان العرب ٣ / ١٥٧٠ ربق) . والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ / ١٩٠
(٣) ينظر لسان العرب ٣ / ١٥٧٠ (ربق).

فقال « وفى الصحاح الربق بالكسر حبل فيه عدة عرى تشد به البهْمُ الواحدة من العرى ربقة، وفرج عنه ربقته أى كربته وكل ذلك على المثل »[1]

فالربقة - كما قال - استعيرت للإسلام وتعاليمه كلها، التزمها المسلم، وعاهد الله على الوفاء بها، وعاش سعيدا فى رحابها.

وأشار إلى أنها استعيرت لعكس ذلك، استعيرت للكربة التى تكاد تخنق الإنسان، وتكتم أنفاسه، وتجعل صدره ضيقا حرجا، فيقال له إذا فرج الله غمه، وأزاح عنه همه فرج الله ربقتك أى كربتك. وقد عبر عن هذه الاستعارة مرة بالمثل فى قوله (وكل ذلك على المثل..) ومرة بقوله (فاستعارها للإسلام..).

وهذه أول مرة أجد فيها كلمة واحدة استعيرت للمعنى، وضده فاكتسبتا حسنا يروق ويعجب، ويطرب ويخلب وصدق من قال:

ضدان لما استجمعا حسنا – والضد يظهر حسنه الضد.

سادستها – أن يشير إلى الاستعارة الأصلية بالجمع بين التشبيه والمثل، وقد ذكر ذلك عند حديثه عن استعارة (الدّر) وهو اللبن الكثير للخير والعطاء على سبيل العموم فقد قال: « در اللبن والدمع ونحوهما يَدِر ويدُر درّا ودرودا وكذلك الناقة إذا حلبت فأقبل منها على الحالب شيء كثير قيل در، وقولهم لا در دره أى لا زكا عمله على المثل، قال أبو بكر وقال أهل اللغة فى قولهم لله دره الأصل فيه أن الرجل إذا كثر خيره وعطاؤه وإنالته الناس قيل لله دره أى عطاؤه، وما يؤخذ منه فشبهوا عطاءه بدر الناقة ثم كثر استعمالهم حتى صاروا بقولونه لكل متعجب منه »[2].

فالدر وهو اللبن قد استعير للخير الكثير، والعطاء الوافر، وهذه كما يبدو استعارة أصلية، وقد أشار إليها بقوله (فشبهوا بدر الناقة) وقوله (... أى لا زكا عمله على المثل) فجمع فى التعبير عنها بين التشبيه والمثل، ويبدو أن هذه

---

(١) المصدر نفسه والموضع.

(٢) لسان العرب ٢ / ١٣٥٦ (درر).

الاستعارة إذا قيلت لكل متعجب منه على وجه العموم تكون استعارة تمثيلية، استعيرت فيها صورة لصورة.

سابعتها – ألا يصرح بشيء يوميء به إلى الاستعارة، ولكنها تفهم من خلال كلامه وبيانه، كما فهم من استعارة النيران للسيوف، فقد قال: « . .وقوله:

فإن تعافوا العدل والإيمانا   فإن فى أيماننا نيرانا

فإنه يعنى بالنيران سيوفا أى فإنا نضربكم بسيوفنا، فاكتفى بذكر السيوف عن ذكر الضرب بها»[1].

وهذه استعارة مشتهرة، أوردها الخطيب القزوينى أثناء كلامه عن قرينة الاستعارة حين قال: «وقرينة الاستعارة إما معنى واحد كقولك رأيت أسدا يرمى، أو أكثر كقول بعض العرب:

فإن تعافوا...... البيت.

أى سيوفا تلمع كأنها شعل نيران... فقوله تعافوا باعتبار كل واحد من تعلقه بالعدل، وتعلقه بالعدل وتعلقه بالإيمان قرينة لذلك؛ لدلالته على أن جوابه أنهم يحاربون ويقسرون على الطاعة بالسيف»[2].

وقد اكتفى صاحب اللسان بأن (نيرانا) يعنى بها السيوف، وصرح بأن الشاعر اكتفى بذكر السيوف عن الضرب بها، ولعله يقصد أنه اكتفى بالنيران المستعارة للسيوف، عن السيوف وإلا فإن المكتفى به هو كلمة (نيرانا) ولعل ذلك سهو فى التعبير.

* * *

---

(١) لسان العرب ٤/ ٣١٩٢ (عيف).

(٢) الإيضاح ١١٩، ١٢٠ مع (البغية).

حول مواقع الاستعارة الأصلية من الإعراب

قد يظن أو يتصور أن الاستعارة الأصلية تأتى فى أسماء الأجناس أينما وجدت فى الكلام، وفى أى موضع منه، والواقع خلاف ذلك؛ فقد حدد البلاغيون لها مواضع معينة باعتبار ملاءمتها للسياق، وإفادتها المعانى المنوطة بها، وهى المبتدأ، والفاعل، والمفعول به، والمجرور بالحرف، والمجرور بالإضافة، وفى مقدمة من حددها الشيخ عبد القاهر الجرجانى، فقد ذكر وهو بصدد التفريق بين التشبيه المحذوف الوجه والأداة، والاستعارة الأصلية هذه المواضع فقال: « . . . ويكون لها - أى للاستعارة - هذا الصنيع حيث يقع الاسم المستعار فاعلا، أو مفعولا، أو مجرورا بحرف الجر، أو مضافا إليه كقولك بدا لى أسد، وانبرى لى ليث، وبدا نور، وظهرت شمس ساطعة، وفاض لى بالمواهب بحر كقوله:

وفى الجيرة الغادين من بطن وجرة ... غزال كحيل المقلتين ربيب [1]

والمفعول كما ذكرت من قولك رأيت أسدا، والمجرور نحو قولك لا عار إن فر من أسد يزأر، والمضاف إليه كقوله:

يا ابن الكواكب من أئمة هاشم ... والرجح الأحساب والأحلام [2]

ويتابع الشيخ عبد القاهر كلامه قائلا: « وإذا جاوزت هذه الأحوال كان اسم المشبه مذكورا، وكان مبتدأ، واسم المشبه به واقعا فى موقع الخبر . . . »[3] .

وقد كرر ذكر هذه المواضع فى مكان آخر وزاد عليها المبتدأ.

واضح من عبارته الأخيرة « وإذا جاوزت هذه الأحوال إلخ » أن الاستعارة لا توجد إلا فى هذه المواقع لا تتعداها بحال، وقد تبع الشيخ عبد القاهر فى تحديد هذه المواضع الإمام فخر الدين الرازى فذكر أن الاسم المستعار لا يمكن وقوعه خبرا

---

(١) بطن وجرة اسم مكان تكثر فيه الغزلان، و (ربيب) أى مربى .
ينظر هامش أسرار البلاغة / ٢٤٢ تعليق الشيخ محمود شاكر .

(٢) أسرار البلاغة / ٢٤٢ .

(٣) المصدر نفسه / ٢٤٣ .

كما فى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ [المائدة: ١١٤] فالعيد ليس بمستعار لوقوعه موقع الخبر وقوله تعالى: ﴿ ..وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

فالسراج ليس بمستعار لوقوعه حالا بعد تمام الكلام، بل يكون المستعار - كما قال - فاعلا، أو مفعولا، أو مبتدأ، أو مضافا إليه، أو مجرورا [١].

ومعنى هذا أن الاستعارة لا تتجاوز هذه المواضع، ولا تخرج عن هذا النطاق.

وقد وجدت فى أمثلة الاستعارة التى ساقها صاحب لسان العرب بعض الاستعارات التى خرجت عن هذا الحيز، وتجاوزت هذا النطاق وسيجىء ذكرها - إن شاء الله - قريبا - .

استعارات جاءت فى لسان العرب موافقة لهذه المواقع المحددة:

رأينا أن الكثرة الكاثرة من الاستعارات التى أوردها صاحب لسان العرب جاءت موافقة لهذه المواقع المعينة، وقد يكون من المفيد أن أذكر هنا طرفا من أمثلتها التى سلفت ليسهل الإلمام بها، والوقوف عليها.

أولا - الفاعل :

من الاستعارات التى وقعت فاعلا ما جاء فى قول الشاعر:

إذا لم يكن إلا القتاد تنزعت   مناجلها أصل القتاد المكالب

استعار المناجل لأسنان الإبل الحادة.

ومنها ما جاء فى قول ابن عوف لعمر - رضى الله عنهما -: يحضرك غوغاء الناس، استعير الغوغاء، وهو الجراد حين يخف للطيران للسفلة من الناس، والمتسرعين للشر.

ومنها ما جاء فى حديث حنين: انطلق جفاء من الناس إلى هذا الحى من

---

(١) ينظر نهاية الإيجاز ../٨٦، ٨٨

هوازن، استعير الجفاء، وهو ما يقذفه السيل من الزبد، والأقذاء، والأوساخ، لشرار الناس وحثالتهم.

ثانيا – المفعول به :

ومن الاستعارات التى وقعت مفعولا به ما جاء فى قول عثمان – رضى الله عنه –: وجاوزت أسنان أهل بيتى، أى طال عمره عن أعمار أقربائه، استعار الأسنان الموجودة بالفم، لأعمار الناس، وعليه تكون السن مستعارة للعمر.

ومنها ما جاء فى الحديث: إياكم ومشارة الناس؛ فإنها تظهر العرة.. استعيرت العرة وهى القذر، وعذرة الناس للمساؤىء والمثالب.

ومنها ما جاء فى قول الشاعر :

فأجمع أجلاسا شدادا يسوقها   إلىَّ إذا راح الرعاء رعائيا

استعار الأجلاس، وهى الصخرات الشداد للنوق القوية.

ومنها ما جاء فى قول عمر – رضى الله عنه –: لا أقلع عنه حتى أطير نعرته، استعار النعرة وهو ذباب صغير يدخل أنف البعير، أو الحمر، أو الخيل للكبر والأنفة [١].

ثالثا – المجرور بالحرف :

ومن الاستعارات التى جاءت مجرورة بالحرف ما جاء فى قول بعضهم: إنك لست من ذوائب قريش، استعيرت الذوائب، وهى جمع ذؤابة – الشعر المضفور أعلى الرأس – للعز، والشرف ، والرفعة.

ومنها ما جاء فى قول الشاعر :

ولكن ما لى غاله كل جفنة   إذا حان ورد أسبلت بدموع

استعار دموع العين للدسم الذى يسيل من الجفنة.

---

(١) هذه الاستعارات سبق بيانها، ويمكن الرجوع إليها لمن أراد مزيدا من الإحاطة بها.

ومنها ما جاء فى قول الشاعر :

من للجعافر ياقومى فقد صريت   وقد يستعار لذات الصرية الحلب

استعار الجعافر وهى الأنهار للنوق الكثيرة اللبن.

ومنها ما جاء فى الحديث : أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال، استعار الغربال للدف.

رابعا – المجرور بالإضافة :

ومن الاستعارات التى جاءت مجرورة بالإضافة ما جاء فى الحديث : ويل لأقماع القول ويل للمصرين، استعيرت الأقماع التى تفرغ فيها السوائل، ولا يبقى فيها شيء، لمن يستمعون القول، ولا يتبعون شيئا منه.

خامسا – المبتدأ :

لم أظفر فى لسان العرب – قدر جهدى – باستعارة واحدة وقعت مبتدأ قارا فى مكانه، ولكنى وجدت استعارات وقعت مبتدأ مؤخرا.

فمن ذلك ما جاء فى حديث بدر : ما قتلنا أحدا به طعم، ما قتلنا إلا عجائز صلعا [١] استعير الطعم من المذوقات للقيمة، والقدر، والوزن أى ما قتلنا إلا من لا وزن له، ولا قدر، فالاستعارة فى كلمة (طعم) وهى مبتدأ مؤخر.

ومنها ما جاء فى قول الشاعر :

زمان على غراب غداف   فطيره الشيب عنى فطارا

استعار الغراب للشعر الأسود، وغراب مبتدأ مؤخر.

ومنها ما جاء فى قول الشاعر :

ألا ما لنفس تموت فينقضى شقاها   ولا تحيا حياة لها طعم

وقد اتسع نطاق الاستعارات التى ذكرت فى لسان العرب، فتجاوزت المبتدأ المؤخر إلى ما أصله المبتدأ، وقد وجدت ذلك فى صورتين:

---

(١) مصطلح حديث فى لسان العرب عام، وليس قاصرا على ما يتعلق بالرسول ﷺ .

إحداهما - وقعت الاستعارة فيها اسما لليس مؤخرا، كما فى قول الشاعر

وبعض القول ليس له عناج   كسـيل الماء ليس له إناء

استعار العناج، وهو حبل يشد به الدلو للقول المحكم المحسوب، و (عناج) اسم ليس مؤخر.

الثانية – جاءت الاستعارة فيها اسما لأن مؤخرا، كما فى قول نبى الله موسى عليه السلام: وإن بالحجر ندبا ستة أو سبعة، استعيرت فيه (الندب) جمع (ندبة) وهى أثر الجرح فى الجلد لأثر ضرب الحجر بالعصا. و (ندبا) اسم إن مؤخر، وكما فى قولهم إن فى رأسه نعرة أى كبرا، الاستعارة فى (نعرة) وهى اسم إن مؤخر.

وهاتان الصورتان داخلتان فى حيز المبتدأ؛ لأن الناسخ لم يمح أثر المبتدأ فى السياق، أو يلغ دوره المنوط به فى الكلام.

الاستعارة فى لسان العرب أوسع دائرة من المواضع المحددة:

لحظت أثناء تناولى للاستعارات الأصلية التى سبق بيانها أن صاحب لسان العرب ساق بعضا منها، ليس داخلا فى دائرة المواضع التى عرفناها، وعهدناها، وهى تتمثل فى ثلاث صور:

إحداها – أن تقع الكلمة التى فيها الاستعارة (منادى) فقد جاء فى لسان العرب « ... وفى حديث على – رضى الله عنه – أنه مر بعبدالرحمن بن عتاب ابن أسيد مقتولا يوم الجمل فقال لهفى عليك يعسوب قريش، يعسوب قريش سيدها شبهه فى قريش بالفحل فى النحل »[١].

فقوله (يعسوب قريش) منادى حذف منه الأداة، وهى استعارة سماها تشبيها باعتبار الأصل[٢]

ومثل هذه الاستعارة التى وقعت (منادى) ما جاء فى قول صاحب اللسان

---

(١) لسان العرب ٤ / ٢٩٣٦ (عسب).

(٢) سبق بيان هذا الشاهد بالتفصيل فى مكانه من هذا العمل

« ... وفى حديث أبى بكر وأضيافه قال لابنه عبد الرحمن ياعنتر هكذا جاء فى رواية، وهو الذباب شبهه به تصغيرا له وتحقيرا »[١] .

« والعنتر والعنترة كله الذباب »[٢] .

فقوله (عنتر) منادى استعار (عنتر) وهو الذباب، لابنه تحقيرا له، كما قال صاحب لسان العرب، وتلك الاستعارة سماها تشبيها، وقد وضحتها بالتفصيل سابقا.

ثانيتها – أن تقع الاستعارة صفة فقد ذكر صاحب لسان العرب فى أحد المواضع أن (حموشة الساقين) أى دقتهما تستعار لدقة البدن كله، وساق شاهدا على ذلك ما جاء فى بعض الأحاديث فقال: « وفى حديث الزنا فإذا رجل حمش الخلق » ثم قال: « استعاره من الساق للبدن كله أى دقيق الخلقة »[٣] .

فقوله (حمش الخلق) صفة لرجل، وهذه الصفة جاءت استعارة.

الثالثة – أن تقع الاستعارة حالا أو مفعولا لأجله فقد قال صاحب اللسان: « الرفاهة والرفاهية رغد الخصب، ولين العيش... وأرفههم الله ورفههم، ورفهنا نرفه رفها... واستعار لبيد الرفه فى نخل نابتة على الماء فقال:

يشربن رفها عراكا غير صادرة فكلها كارع فى الماء مغتمر »[٤]

يقول إن هذه النخل تجاور ماء كثيرا فهى ترتوى منه كما تشاء، وتتقلب فى تلك الرفاهية، والعيش الهنىء[٥] .

فكلمة (رفها) كما بدا لى مصدر وقع حالا من الفاعل فى (يشربن) أو مفعولا لأجله . وفيها الاستعارة – كما أبان صاحب لسان العرب .

فإن كان ما لحظته، وفهمته صوابا يكون من حق هذه المواقع الاستعارية الثلاثة أن تضم إلى أخواتها المعينات، وتقترن بها، وتنتظم فى سلكها .

---

(١) لسان العرب ٤ / ٣١٢٢ (غنتر). (٢) المصدر نفسه والموضع .

(٣) لسان العرب ٢ / ٩٩٦ (حمش) . والنهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١ / ٤٤١ (حمش).

(٤) لسان العرب ٣ / ١٦٩٨ (رفه).

(٥) سبق شرح هذا البيت فى موضعه من هذا العمل.

الاستعارة التبعية

الاستعارة التبعية هى الشطر الثانى للاستعارة التصريحية، وظاهر من اسمها أنها تابعة فى الإجراء للأصلية، فالتشبيه فيها ثانوى، تابع للتشبيه فى الاستعارة الأصلية، وقد قرر الشيخ عبد القاهر الجرجانى – رحمه الله – هذه الحقيقة بعد أن بين كنه كل من الاستعارة المكنية، والأصلية فقال: « ... وإذ قد تقرر أمر الاسم فى كون استعارته على هذين القسمين، فمن حقنا أن ننظر فى الفعل هل يحتمل هذا الانقسام والذى يجب العمل عليه أن الفعل لا يتصور فيه أن يتناول ذات شيء كما يتصور فى الاسم، ولكن شأن الفعل أن يثبت المعنى الذى اشتق منه للشيء فى الزمان الذى تدل صيغته عليه فإذا قلت ضرب زيد أثبت الضرب لزيد فى زمان ماض »[1] .

وغير خاف أن الفعل فى (ضرب زيد) ليس استعارة، ولكنه ذكر ذلك توطئة وتمهيدا لقوله بعد ذلك « ... وإذا كان كذلك فإذا استعير الفعل لما ليس له فى الأصل، فإنه يثبت باستعارته له وصفا هو شبيه بالمعنى الذى ذلك الفعل مشتق منه بيان ذلك أن تقول نطقت الحال بكذا، وأخبرتنى أسارير وجهه بما فى ضميره، وكلمتنى عيناه بما يحوى قلبه، فتجد فى الحال وصفا هو شبيه بالنطق من الإنسان، وذلك أن الحال تدل على الأمر، ويكون فيها أمارات يعرف بها الشىء، كما أن النطق كذلك، وكذلك العين فيها وصف شبيه بالكلام، وهو دلالتها بالعلامات التى تظهر فيها، وفى نظرها، وخواص أوصاف يحدس بها على ما فى القلوب من الإنكار والقبول »[2] .

فحاصل ما قاله الشيخ أن الاستعارة فى الأفعال إنما هى للمعنى الذى تتضمنه، والحدث الذى تشتمل عليه، وتلك هى الحقيقة التى أراد الشيخ أن يصل إليها، ويقررها فى الأذهان، والعقول عندما قال بعد ذلك: « .. وإذا كان أمر الفعل فى الاستعارة على هذه الجملة، رجع بنا التحقيق إلى أن وصف الفعل

---

(١) أسرار البلاغة / ٥١

(٢) المرجع نفسه والموضع.

بأنه مستعار حكم يرجع إلى مصدره الذى اشتق منه، فإذا قلنا فى قولهم نطقت الحال أن نطق مستعار فالحكم بمعنى أن النطق مستعار، وإذا كانت الاستعارة تنصرف إلى المصدر، كان الكلام فيه على ما مضى »[1] .

فالاستعارة التبعية كما قرر الشيخ عبد القاهر فى الفعل وغيره تجرى أولا فى مصادر هذه الأفعال، ثم تجرى بعد ذلك فى الأفعال وغيرها؛ ولذلك قال الحموى: « والتبعية ما كان التشبيه داخلا فى المستعار دخولا ثانويا، ولم يكن المستعار اسم جنس، وتقع فى الأفعال والصفات العاملة والحروف... مثال الأولين الحال نطقت بكذا، أو ناطقة بكذا. استعير النطق فيهما للدلالة، فجرت الاستعارة أولا فى المصدر المذكور وتبعته فى الفعل والوصف، فلهذا سميت تبعية »[2] .

وقد تطرق صاحب لسان العرب إلى كثير من الاستعارات التبعية فى الأفعال وغيرها، وقد تمثل تناوله لها فى صور متنوعة:

إحداها - أن يصرح بلفظ الاستعارة، أو ما اشتق منه، ومن ذلك ما ذكره من استعارة الإفاضة للاندفاع فى السير فقد قال: « ... وفى حديث الحج فأفاض من عرفة[3] ... الإفاضة الزحف، والدفع فى السير بكثرة، ولا يكون إلا عن تفرق، وجمع، وأصل الإفاضة الصب، فاستعيرت للدفع فى السير... ومنه طواف الإفاضة يوم النحر يفيض من منى إلى مكة فيطوف ثم يرجع »[4] .

ففى قول الرسول ﷺ (فأفاض من عرفة) استعارة تبعية فى الفعل الماضى (أفاض) عبر عنها صاحب اللسان بالفعل (استعير) وحقيقة الإفاضة صب الماء.

وهذه استعارة قرآنية جاءت فى مثل قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ** ﴾ [البقرة: ١٩٨] .

---

(١) المرجع نفسه / ٥٢ - ٥٣.

(٢) درر العبارات وغرر الإشارات فى تحقيق معانى الاستعارات للحموى / ١١.

(٣) ينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ / ٤٨٥.

(٤) لسان العرب ٥ / ٣٥٠١ (فيض).

وقد بينها صاحب الكشاف بقوله: «أى اندفعتم بكثرة، وهو من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة»[1]

وهى استعارة محسوس لمحسوس – كما هو ظاهر .

وقد أشار الزمخشرى إلى أن الإفاضة تستعار أيضا للاندفاع فى الحديث فقد قال: «ومن المجاز وأفاضوا من عرفات، وأفاضوا فى الحديث اندفعوا»[2] .

وأفاض القوم فى الحديث انتشروا، وقال اللحيانى هو إذا اندفعوا وخاضوا وأكثروا... وفاض الحديث والخبر واستفاض ذاع وانتشر، وحديث مستفيض ذائع[3] .

ومن ذلك النوع ما ذكره من استعارة إزلال الأجسام، وهو انتقالها من مكان إلى آخر، لانتقال النعمة من المنعم إلى المنعم عليه، فقد قال: «زل السهم عن الدرع والإنسان عن الصخرة يزل... زلا، وزليلا، ومزلة زلق»[4] .

وهذا الاستعمال الذى ذكره حقيقة لغوية، ولكنه أضاف قائلا: «وأزل إليه نعمة أسداها، وفى الحديث من أزلت إليه نعمة فليشكرها[5]، واتخذ عنده زلة أى صنيعة، وأزللت إليه نعمة أى أسديتها، قال أبو عبيد قوله فى الحديث من أزلت إليه نعمة معناه من أسديت إليه، وأعطيها واصطنعت عنده قال ابن الأثير وأصله من الزليل وهو انتقال الجسم من مكان إلى مكان فاستعير لانتقال النعمة من المنعم إلى المنعم عليه قال كثير يذكر امرأة:

وإنى وإن صَدّت لمثن وصادق

عليها بما كانت إلينا أزلت

والمزلل الكثير الهدايا والمعروف»[6] .

---

(١) الكشاف ١/١٢٣ (٢) أساس البلاغة (فيض) .

(٣) ينظر لسان العرب ٥/٣٥٠١ (فيض) .

(٤) لسان العرب ٣/١٨٥٥ (زلل) .

(٥) ينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/٣١٠

(٦) لسان العرب ٣/١٨٥٦ (زلل)

فقوله وهو يوضح معنى (أزلت) فى الحديث (فاستعير – أى الإزلال – لانتقال النعمة إلخ) ظاهر فى أنه يقصد الاستعارة فى (أزلت) وهى تبعية، وقد عبر عنها بالفعل (استعير) .

ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة إشادة البنيان ورفعته، 'الإشادة بذكر الناس فى الخير والشر فقد قال : « أشاد بالضالة عرف . . . ويقال أشاد فلان بذكر فلان فى الخير والشر، والمدح والذم، إذا شهره ورفعه، وفى الحديث من أشاد على مسلم عورة يشينه بها بغير حق شانه الله يوم القيامة ويقال أشاده وأشاد به، إذا أشاعه ورفع ذكره من أشدت البنيان فهو مشاد، وشيدته إذا طولته فاستعير لرفع صوتك بما يكرهه صاحبك »[1] .

فالمعنى الحقيقى للإشادة هى رفعة البناء، وشموخه، ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨] فالبروج هى الحصون، والمشيدة أى المرفعة من شاد القصر إذا رفعه[2] فالاستعارة فى الفعل (أشاد . . .) فى كلامه الآنف الذكر، وقد عبر عن هذه الاستعارة بقوله (فاستعير لرفع صوتك إلخ) .

استعيرت لرفعه البناء لرفع الصوت بالمدح، أو القدح، ويدل ما ذكره صاحب اللسان على أن ما تعارف عليه الناس من قصرهم الإشادة على الخير وحده مناف لكلام العرب، ولغتهم . قال الزمخشرى : « ومن المجاز أشاد بذكره رفعه بالثناء عليه، وأشاد عليه قبيحا أو بقبيح »[3] .

وظاهر من كلامهما معا أنه يقال أشاد فلان بذكر فلان فى الخير والشر، ولا يقال أشاد عليه قبيحا إلا فى الشر، فالإشادة فى الشر تتعدى بالباء، وعلى ؛ ولذلك قال ابن حجر العسقلانى – رحمه الله – أشاد بذكره رفعه بالثناء عليه، وأشاد عليه أفشى عليه مكروها، ويقال أشاد عليه قبيحا فقبح[4] .

---

(١) لسان العرب ٤ /٢٣٥٦ (شود) . والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ /٥١٧ .

(٢) الكشاف ١ /٢٨٣ .

(٣) أساس البلاغة (شيد) .

(٤) غراس الأساس (شيد) .

ومن هذا اللون ما ذكره من استعارة دخول الضب فى جحره لدخول الشيطان فى الإنسان فقد قال: « .. والقصعة والقصعاء والقاصعاء جحر يحفره اليربوع... وقصع الضب سد باب جحره... وقصع الضب أيضا دخل فى قاصعائه، واستعاره بعضهم للشيطان فقال:

إذا الشيطان قصع فى قفاها   تنفقناه بالحبل التؤام

قوله تنفقناه أى استخرجناه كاستخراج الضب من نافقائه »[1] .

الاستعارة التبعية فى الفعل (قصّع) من قوله (قصع فى قفاها) وقد كرر ذلك البيت فى موضع آخر عندما قال: « والنافقاء جحر الضب واليربوع... وتنفقه الحارس وانتقفه استخرجه من نافقائه واستعاره بعضهم للشيطان فقال:

إذا الشيطان قصع فى قفاها   تنفقناه بالحبل التؤام

أى استخرجناه استخراج الضب من نافقائه »[2] .

فقوله فى صدر كلامه المتقدم وقصع الضب دخل فى قاصعائه حقيقة لغوية، وقد استعير هذا التقصيع لدخول الشيطان فى قفا هذه المرأة التى ذكر الشاعر اسمها فى بيت يسبق هذا البيت وهو قوله:

وما أم الردين وإن أدلت   بعالمة بأخلاق الكرام[3]

وقد عبر صاحب اللسان عن هذه الاستعارة بالفعل الماضى (استعار) فى قوله (واستعاره بعضهم للشيطان).

ومعنى قصع الشيطان فى قفا الإنسان أى أنه قد ساء خلقه وغضب[4] وهذه الاستعارة مرشحة لأنه ذكر معها ما يتلاءم مع المستعار منه وهو قول الشاعر فى الشطر الثانى (تنفقناه بالحبل التؤام) فالاستخراج بالحبل إنما يلائم الضب الذى دخل فى جحره، وفى هذا ما فيه من زيادة تناسى الاستعارة.

ومن هذا القبيل ما صرح به من استعارة صعد المكان، لارتفاع الهوى فى

---

(١) لسان العرب ٥/ ٣٦٥٤ (قصع).

(٢) المصدر نفسه ٦/ ٤٥٠٨ (نفق).   (٣) ينظر الكشاف ١/ ٣٧

(٤) أساس البلاغة (قصع). وغراس الأساس (قصع).

قلب المحب فقد قال: «صَعِد المكان وفيه صعودا، وأصعد، وصعّد ارتقى مشرفا»[1] .

وهذا صعود حقيقى كما لا يخفى، وقد أتبع صاحب اللسان ذلك بالصعود المجازى فقال: «واستعاره بعض الشعراء للعرض الذى هو الهوى فقال:

فاصبحن لا يسألنه عن بمابه   أصعد فى علو الهوى أم تصوبا[2]

وأراد أصعد أم صوب فلما لم يمكنه ذلك وضع تصوب موضع صوب»[3] .

ومعنى تصوب تسفل[4] واضح أن الاستعارة التى أرادها هنا هى فى (أصعد) وإن كان فى (تصوبا) أيضا استعارة.

فالصعود، والتصعد الحقيقى الارتفاع المحسوس فى الأمكنة ونحوها والتصوب التسفل المحسوس كذلك، وقد جاء الفعلان على سبيل الحقيقة فى الشاهد البلاغى المشهور:

وكأن محمر الشقيـ   ق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشر   ن على رماح من زبرجد

وقد عبر صاحب اللسان عن هذه الاستعارة التبعية فى (أصعد) بقوله (واستعاره بعض الشعراء للعرض إلخ) .

وهى استعارة محسوس لمعقول، وقد جرت عادته أن يعبر عن المعقول (بالعرض) ويعبر عن المحسوس (بالجوهر) أحيانا.

وقد ظفرت باستعارة اسم الفاعل من (أصعد) للارتقاء فى قمم المجد، ومدارجه فى قول الخنساء تمدح أخاها صخرا:

إذا القوم مدوا بأيديهم   إلى المجد مد إليه يدا
فنال الذى فوق أيديهم   من المجد ثم مضى مصعدا[5]

---

(١) لسان العرب ٤ / ٢٤٤٤ (صعد) .

(٢) أراد عما به فزاد الباء وفصل بها بين عن وما جرته. المصدر نفسه ٤ / ٢٤٤٥

(٣) المصدر نفسه والموضع .   (٤) أساس البلاغة (صوب) .

(٥) البيتان فى أسرار البلاغة / ٣٦٢

أى أنه فاق القوم، وبذهم فى المجد والشرف، وارتقى نحو قنة المجد. وذروته، فاستعارت (مصعدا).

للارتفاع فى السؤدد، والمجد، وعلى ذلك قول الزمخشرى « ومن المجاز له شرف صاعد... ورتبة بعيدة المصعد والمصاعد »(١) .

ومن هذا النمط ما ذكره من استعارة غصب الشىء وهو أخذه ظلما، لمواقعة المرأة رغما عنها فقد قال: « الغصب أخذ الشىء ظلما غصب الشىء يغصبه غصبا، واغتصبه فهو غاصب... والاغتصاب مثله.. وفى الحديث أنه غصبها نفسها أراد أنه واقعها كرها فاستعاره للجماع »(٢) .

فالمستعار منه الغصب المعبر عنه بالفعل (غصبها) فى الحديث، والمستعار له الجماع كرها، ويلاحظ أن صاحب اللسان سوى بين الفعلين غصب، واغتصب فى إفادة هذا المعنى، وإن كان الموجود فى الحديث المذكور (غصب).

وقد عبّر الزمخشرى عن هذه الاستعارة بالفعل (اغتصب) حين قال: « واغتصبت فلانة نفسها جومعت مقهورة »(٣) .

ونلحظ أن الفعل (اغتصب) هو المتداول على ألسنة الناس فى هذه الأيام حينما يعبرون عن هذه الفعلة الشنعاء، وخاصة فى وسائل الإعلام المختلفة. ولعل ذلك لما فيه من زيادة المبنى التى تدل على زيادة المعنى - كما يقولون - .

ومن ذلك ما ذكره من استعارة ضيف، وأضاف من إكرام الضيف، لمسالمة الذئب وتأمينه فقد قال: « وأضفته، وضيفته أنزلته عليك ضيفاً، وأملته إليك، وقربته، ولذلك قيل هو مضاف إلى كذا أى ممال إليه، ويقال أضاف فلان فلانا فهو يضيفه إضافة إذا ألجاه إلى ذلك، وفى التنزيل العزيز ﴿ **فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا** ﴾ [الكهف: ٧٧] وأنشد ثعلب لأسماء بن خارجة الفزارى يصف الذئب:

---

(١) أساس البلاغة (صعد) .

(٢) لسان العرب ٥ / ٣٢٦٢ (غصب) . والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ / ٣٧٠ .

(٣) أساس البلاغة (غصب)

ورأيت حقـا أن أضـيفه إذ رام سلمـى واتقى حربى

استعار له التضييف، وإنما يريد أنه أمنه وسالمه»[١] .

فالاستعارة التبعية فى الفعل (أضيفه) وقد عبر عنها بالفعل (استعار..) .

فالمستعار منه إكرام الضيف، وتقريبه، وإمالته، والمستعار له تأمين الذئب، ومسالمته، وعدم إيذائه.

ويلاحظ أن فى قوله (استعار له التضييف) تعبير عن الاستعارة التبعية فى قول الشاعر (أضيفه) بالمصدر (تضييف) وربما كان يومىء بذلك إلى أن التبعية تجرى أولا فى المصدر، ثم تجرى بعد ذلك فى الفعل – كما سبق بيانه – .

ومن ذلك الضرب ما ذكره من استعارة الفعل (هَبِل) من فقد الولد، لفقد العقل والتمييز، فقد قال: «والهبل الثكل، هبلته أمه ثكلته، وفى حديث الشعبى فقيل لأمك الهبل، وفى حديث حارثة بن سراقة ويحك أو هبلت هو بفتح الهاء وكسر الباء، وقد استعاره هنا لفقد الميز والعقل مما أصابها من الثكل بولدها كأنه قال أفقدت عقلك بفقد ابنك»[٢] .

فالاستعارة التبعية فى الفعل الماضى من قوله (أو هبلت) وقد استعير (الهبل) وهو مصدر هذا الفعل من فقد الابن لفقد العقل والتمييز، فيقال لأمه الهبل، وهبلته أمه، وأمه هابل[٣] .

وقد وجدت فى شواهد الكشاف قول الشاعر:

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشـتهى ولأم المخطىء الهبل

أى يقول الناس لمن يلقى خيرا ما يريده من الدعاء بالخير، والمدح والثناء، ويقال لأم المخطىء الهبل أى الثكل يدعون عليها بموت ولدها، فكأنهم يدعون على المخطىء بالموت[٤] .

---

(١) لسان العرب ٤ / ٢٦٢٥ (ضيف) .
(٢) لسان العرب ٦ /٤٦٠٧ (هبل) . والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٥ / ٢٤٠
(٣) ينظر أساس البلاغة (هبل) .
(٤) ينظر مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف / ٩١ فى نهاية الجزء الرابع للكشاف.

وقد تردد صاحب شواهد الكشاف فى قائل هذا البيت أهو للقطامى أو للأعشى»[1]

وقد عثرت بهذا البيت مع بيتين آخرين وهى للقطامى من قصيدة يقول فيها:

والعيش لا عيش إلا ما تقربه　　عَيْنٌ ولا حال إلا سوف ينتقل
والناس من يلق خيرا قائلون له　　ما يشتهى ولأم المخطىء الهبل
قد يدرك المتأنى بعض حاجته　　وقد يكون مع المستعجل الزلل[2]

ومما يجدر ذكره أن كلمة (الهبل) يستعملها الناس فى معنى فقدان العقل، وهذا - كما رأينا - استعمال فصيح، وهى استعارة اشتهرت حتى صارت كأنها حقيقة.

ومن هذا النسق ما ذكره من استعارة إسناف الخيط، وهو إحكام فتله، لإحكام الأمر فقد قال: «السناف خيط يشد به من حقب البعير إلى تصديره، ثم يشد فى عنقه إذا ضمر... والجمع سنف... وأسنفه شده بالسناف، وأسنفت البعير جعلت له سنافا، وإنما يفعل ذلك إذا خمص بطنه، واضطرب تصديره وهو الحزام... وربما قالوا أسنفوا أمرهم أى أحكموه، وهو استعارة من هذا»[3].

المستعار منه فى هذه الاستعارة إسناف الحبل ونحوه من الأشياءالمحسوسة، والمستعار له إحكام الأمر وذلك شىء معقول ولا يخفى أن الاستعارة فى (أسنفوا أمرهم) وقد عبر عنها صاحب اللسان بلفظ (استعارة) فى قوله (وهو استعارة من هذا).

ومن هذا اللون ما ذكره من استعارة اللمس، وهو الجس باليد، للطلب فقد قال: «اللمس الجس، وقيل اللمس المس باليد... وفى الحديث من سلك طريقا يلتمس فيه علما أى يطلبه فاستعار له اللمس، وفى حديث عائشة فالتمست عقدى والتمس الشىء وتلمسه طلبه»[4].

---

(١) ينظر المرجع نفسه والموضع.　　(٢) زهر الآداب ٣/٦٤٦

(٣) لسان العرب ٣/٢١١٨ (سنف).

(٤) لسان العرب ٥/٤٠٧٢ - ٤٠٧٣ (لمس). والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٤/٢٧٠ - ٢٧١

فالمستعار منه اللمس باليد، والمستعار له طلب الشيء والبحث عنه، والاهتمام بأمره، وقد عبر عن هذه الاستعارة بالفعل (استعار..).

ومن ذلك النوع ما ذكره من استعارة الطيران، للجرى فقد قال: «الطيران حركة ذى الجناح فى الهواء بجناحه طار الطائر يطير طيرا وطيرانا... وقال العنبرى:

طاروا إليه زرافات ووحدانا [1] ومن أبيات الكتاب - يقصد كتاب سيبويه - وطرت بمنصلى فى يعملات[2] فاستعملوا الطيران فى غير ذى الجناح... وقوله فى الحديث رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله يطير على متنه أى يجريه فى الجهاد، فاستعار له الطيران»[3].

المستعار منه هو الطيران - كما قال - وهو مصدر الفعلين فى (طاروا) و(طرت) فى الشطرين السابقين، وقد أشار إلى الاستعارة فى الشطرين بقوله (فاستعملوا الطيران فى غير ذى الجناح) وعبر عنها فى الحديث بقوله (فاستعار له الطيران) أى استعار الطيران للجرى.

ويلاحظ أنه ذكر أن المستعار منه (الطيران) وهو مصدر الفعل (يطير) المذكور فى الحديث، ولعله يلوح بذلك إلى أن الاستعارة التبعية تجرى فى المصدر أولا ثم تجرى بعد ذلك فى الفعل.

ومن هذا القبيل ما ذكره من استعارة الصوغ، وهو سبك الفضة، والذهب ونحوهما، للكذب والزور، واختلاق الكلام، ويستعار كذلك لتأليف الكلام، وترتيبه فقد قال: «الصوغ مصدر صاغ الشيء يصوغه صوغا وصياغة...

---

(1) البيت بتمامه:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا

ينظر مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف ٤ / ١٣٢.

(2) البيت فى الإيضاح وهو بتمامه:

فطرت بمنصلى فى يعملات ... دوامى الأيدى يخبطن السريحا

ص ١٢٤ (البغية)

(3) لسان العرب ٤ / ٢٧٣٥ - ٢٧٣٨ (طير).

سبكه   ورجل صواغ يصوغ الكلام ويزوره، وربما قالوا فلان يصوغ الكذب وهو استعارة، وصاغ فلان زورا وكذبا إذا اختلقه   يقال صاغ شعرا وكلاما أى وضعه ورتبه »[1]

فالصياغة أو الصوغ فى الأصل هى السبك، وهو كما جاء فى لسان العرب « سبك الذهب والفضة ونحوه من الذائب... وسبكه ذوبه وأفرغه فى قالب، والسبيكة القطعة المذوبة منه »[2].

والصوغ، أو الصياغة، أو السبك، فى الذهب، والفضة، وما أشبههما - كما أبانه - معنى حقيقى - أو استعمال حقيقى، ويستعار للكذب والزور فيقال صاغ فلان زورا وكذبا فالفعل (صاغ) استعارة تبعية.

وكذلك يقال على سبيل الاستعارة فلان يصوغ الكذب، ففى الفعل (يصوغ) استعارة تبعية، وفى هذا إيماء إلى أن الكذاب يحتاج إلى تعمل وتمحل، وبذل للجهد والطاقة فى اختلاق الكذب، وتزويقه، وإحكام نسجه، وتستعار الصياغة والصوغ كما قال صاحب اللسان فى كلامه الآنف الذكر أيضا لوضع الشعر، وتأليفه، وترتيبه، وكذلك تأليف النثر، أو على حد تعبيره (صاغ شعرا وكلاما أى وضعه ورتبه) وقد صرح بأن هذا الاستعمال من قبيل الاستعارة.

ومما يلاحظ فى هذا الصدد أن كلمة الصياغة، وهى كثيرة التناول، والاستعمال تأتى عند البلاغيين - كما أوضح صاحب اللسان - مستعارة لتأليف الكلام شعره، ونثره، وإحكامه، وإتقان نسجه، وقد تكررت هذه الكلمة مع أخوات لها فى كلام الشيخ عبد القاهر الجرجانى، وهو يشير إلى نظم الكلام، وتأليفه، فمن ذلك ما ذكره فى بغض المواضع من أن النظم « كان عندهم نظير للنسيج والتأليف والصياغة والبناء والوشى والتحبير، وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض »[3].

---

(١) لسان العرب ٤ / ٢٥٢٧ (صوغ)   (٢) المصدر نفسه ٣ / ١٩٢٩ (سبك)

(٣) دلائل الإعجاز ٤٩

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة زراعة الحب، وبذره في الأرض، لتثبيت الحكمة، أو الحجة في قلوب الناس فقد قال: «زرع الحب يزرعه زرعا وزراعة بذره والاسم الزرع... واستعار عليٌّ رضوان الله عليه ذلك للحكمة أو للحجة، وذكر العلماء الأتقياء بهم يحفظ الله حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم»[1].

ففي قوله (يزرعوها) استعارة تبعية، استعيرت زراعة الحب في الأرض لإقرار الحكمة، أو الحجة في قلوب العلماء الأتقياء، وترسيخها في نفوسهم، وهي استعارة محسوس لمعقول كما هو ظاهر، وقد عبر عنها بالفعل الماضي (استعار).

ويبدو أن استعارة الزراعة في الأرض للأمور المعنوية ليست قاصرة على الحكمة، أو الحجة، فقد ظفرت ببعض أمثلة استعيرت فيها الزراعة للمحبة، وتمكينها في القلوب، قال الزمخشري: ومن المجاز وزرع الحبَّ لك في القلوب كرمك، وحسن خلقك[2] وتستعار أيضا للإحسان: قال الشاعر:

عمر الفتى ذكره لا طول مدته ... وموته خزيه لا يومه الداني

فأحي ذكرك بالإحسان تزرعه ... تجمع لك في الدنيا حياتان[3]

وتستعار الزراعة على ألسنة الناس في هذه الأيام لتمكين الإنسان من وظيفة، أو عمل، أو موقع من المواقع، فيقولون - مثلا - زرع العميد ابنه في كليته، أو ما شاكل ذلك إشارة إلى تمكينه من عمل فيها، أو وظيفة يؤثره بها، دون غيره من نظرائه.

وقد اقتصر صاحب لسان العرب هنا في مادة (زرع) على الاستعارة في قوله (... ويزرعوها في قلوب أشباههم) وأرجأ بيان الاستعارة في قوله (حتى يودعوها نظراءهم) إلى موضعها من كتابه حين قال: «والوديعة واحدة الودائع وهي ما استودع، وقوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨] المستودع

---

(١) لسان العرب ٣/١٨٢٦ (زرع).   (٢) أساس البلاغة (زرع).
(٣) زهر الآداب ٣/٧٢٢.

ما فى الأرحام، واستعاره على - رضى الله عنه - للحكمة والحجة، فقال بهم يحفظ الله حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم»[1].

فالوديعة فى الأصل ما يودعه الإنسان عند غيره، وقد استعير الإيداع المفهوم من (مستودع) للأجنة المودعة فى أرحام الأمهات، وتفسيره لمستودع بما فى الأرحام يشعر أنه اسم مفعول، ويكون (مستقر) اسم مكان يقصد منه الأرحام، وفيهما أقوال لأهل العلم ليس هذا موضعها.

ومن هذا اللون ما ذكره من استعارة (اللسع) و (اللدغ) وهو للحية والعقرب للإيذاء، والعيب بلسان الناس فقد قال: «ويقال لسعته الحية والعقرب... ولسعه بلسانه عابه وآذاه، ورجل لساع ولسعة عيابة قراصة للناس بلسانه... وفى الحديث لا يلسع المؤمن من جحر مرتين وفى رواية لا يلدغ[2] واللسع واللدغ سواء، وهو استعارة هنا أى لا يدهى المؤمن من جهة واحدة مرتين فإنه بالأولى يعتبر... ومعناه أن المؤمن هو الكيس الحازم الذى لا يؤتى من جهة الغفلة فيخدع مرة بعد مرة، وهو لا يفطن لذلك، ولا يشعر به»[3].

يقول: إن لسع الناس ولدغهم من الحية والعقرب حقيقة، ولكن لسعهم، ولذغهم بلسان إخوانهم فى الإنسانية استعارة، استعير الإيلام والإيذاء الحسى للإيلام المعنوى، وغنى عن البيان أن الاستعارة فى (لسع) و (لدغ) تبعية، يقال فلان يلسع الناس أى يؤذيهم، ويقرصهم[4] وتلك شنشة العقرب، ودأبها على حد قول الشاعر:

يأبى فؤادى أن يميل إلى الأذى   حب الأذية من طباع العقرب

وقد عبر صاحب اللسان عن هذه الاستعارة التبعية فى (يلسع) و (يلدغ) بلفظ (استعارة) فى قوله عقب الحديث النبوى (وهو استعارة هنا...) يقصد فى الحديث.

---

(١) لسان العرب ٦/ ٤٧٩٩ (ودع).

(٢) الحديث فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤/ ٢٤٨

(٣) لسان العرب ٥/ ٤٠٢٩ (لسع)   (٤) أساس البلاغة (لدغ)

ويتراءى لى أنه يمكن إجراء استعارة تمثيلية فى الحديث الآنف الذكر، استعيرت فيه صورة من لدغته حية، أو عقرب ثم عاد إلى جحرها مرة أخرى، دون أن يتعظ، أو يعتبر بما جرى عليه فى المرة الأولى لصورة إنسان لحقه الضرر من صديق، أو رفيق – مثلا – وذاق المر من فعله، ثم غفل عما أصابه منه، وعاد سيرته الأولى يركن إليه، ويثق فيه، وقد نفى رسول الله ﷺ هذه الصورة عن المؤمن، لأنه كيس فطن لا ينخدع على حد قول عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – لست بالخب ولا الخب يخدعنى.

ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة (التحجيل) وهو البياض الموجود فى قوائم الخيل، للبياض الذى يعلو أيدى المؤمنين، وأرجلهم يوم القيامة من آثار الوضوء فقد قال: « ... وفى الحديث فى صفة الخيل الأقرح المحجل قال ابن الأثير هو الذى يرتفع البياض فى قوائمه فى موضع القيد ويجاوز الأرساغ، ولا يجاوز الركبتين، لأنها مواضع الأحجال، وهى الخلاخيل والقيود ومنه الحديث أمتى الغر المحجلون أى بيض مواضع الوضوء من الأيدى والوجه، والأقدام استعار أثر الوضوء فى الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذى يكون فى وجه الفرس ويديه ورجليه... »(١).

واضح أن الاستعارة هنا تبعية فى اسم المفعول (المحجلون) فالتحجيل، أو البياض الموجود فى أيدى الخيل، وأرجلها حقيقة لغوية، وقد استعير فى الحديث لأثر الوضوء فى أيدى المؤمنين، وأرجلهم يوم القيامة تمييزا لهم عمن عداهم، وقد عبر صاحب اللسان عن هذه الاستعارة بالفعل (استعار).

وقد ألمح إلى تلك الاستعاراة فى موضع آخر دون أن يصرح بما يدل عليها حين قال: « ... وفى الحديث غر محجلون من آثار الوضوء، الغر جمع الأغر من الغرة بياض الوجه يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة »(٢).

وقد وجدت هذا الحديث فى صحيح مسلم، وهو كما رواه « .. قال رسول

---

(١) لسان العرب ٢ / ٧٨٨ (حجل) والنهاية فى غريب الحديث والأثر ١ / ٣٤٦

(٢) المصدر نفسه ٥ / ٣٢٣٤ (غرر).

الله ﷺ أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله» وقد شرح الإمام النووى الاستعارة فى الحديث فقال: «قال أهل اللغة الغرة بياض فى جبهة الفرس والتحجيل بياض فى يديها ورجليها قال العلماء سمى النور الذى يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلا تشبيها بغرة الفرس»[١] .

فقوله (تشبيها) يقصد منه الاستعارة لأن الحديث ليس فيه تشبيه اصطلاحى .

ومن هذا اللون ما ذكره من استعارة (مقدمة) الجيش، وهم الجنود الذين يتقدمون، لأول كل شيء فقد قال: «ومقدمة العسكر وقادمتهم، وقدماهم متقدموهم التهذيب مقدمة الجيش بكسر الدال أوله الذين يتقدمون»[٢] .

ثم ذكر أن مقدمة الجيش هى من قدم بمعنى تقدم، ومنه قولهم المقدمة والنتيجة[٣] وأضاف قائلا: « ... وفى كتاب معاوية إلى ملك الروم لأكونن مقدمته إليك أى الجماعة التى تتقدم الجيش»[٤] .

واستعمال المقدمة فى ذلك المعنى حقيقة لغوية، بدليل قوله بعد ذلك: « .. وقد استعير لكل شيء فقيل مقدمة الكتاب، ومقدمة الكلام بكسر الدال»[٥] .

وقد أشار إلى أن الدال قد تفتح فيقال مقدمة الإبل والخيل ومقدمتهما، أول ما ينتج منهما ويلقح، ومقدم كل شيء نقيض مؤخره[٦] .

ونقل عن بعضهم أن الفتح ليس لحنا ؛ لأن غيره قدمه فهو مقدم[٧] وظاهر من كلامه أن المقدمة حقيقة فى جنود الجيش الذين يتقدمون صفوفه استعارة فيما عدا ذلك، فيمكن أن يقال مقدمة المصلين، ومقدمة الكتاب، ومقدمة

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١ / ٥٣١

(٢) لسان العرب ٥ / ٣٥٥٣ (قدم) .

(٣) ينظر المصدر نفسه ٥ / ٣٥٥٤ (قدم) .

(٤) المصدر نفسه والموضع .

(٥) المصدر نفسه والموضع .

(٦) المصدر نفسه والموضع

(٧) المصدر نفسه والموضع

الخطبة، وهى استعارة تبعية فى اسم الفاعل أو اسم المفعول، باعتبار كسر الدال، أو فتحها.

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة الثوب المفْدَم الذى أشبع صبغه للذل الشديد الذى ضرب الله به النصارى، فقد قال: «الفدم من الناس العيى عن الحجة والكلام... وهو أيضا الغليظ السمين الأحمق الجافى... والمفدم من الثياب المشبع حمرة، وأحمر فدم مشبع، والفدم الثقيل من الدم، وثوب فدم ساكنة الدال إذا أشبع صبغه، وثوب فدم إذا كان مصبوغا بحمرة مشبعا... وفى حديث أبى ذر أن الله ضرب النصارى بذل مفدم أى شديد مشبع فاستعاره من الذوات للمعانى»[1].

فالثوب المفدم هو الذى أشبع صبغه أى بلغ درجة التشبع فى صباغته، فلا يقبل المزيد منها، وهذا - كما هو ظاهر - استعمال حقيقى، وقد استعيرت هذه الصفة للذل الذى بلغ أقصاه، وضرب الله به النصارى كما فى حديث أبى ذر المتقدم، وهى استعارة تبعية فى اسم المفعول (مفدم) عبر عنها صاحب اللسان بالفعل الماضى (استعار) فى قوله (فاستعاره من الذوات للمعانى).

وهى استعارة محسوس لمعقول، أو ذات لمعنى على حد تعبيره.

ويلاحظ أن اللفظ المستعار منه هنا له عدة معان أصلية، وقد استعير أحدها دون غيره؛ لأن غرض الاستعارة يتعلق، ويتحقق به دون سواه.

ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة (مقيلة) وهو موضع القائلة لموضع الهامة من الجسم فقد قال: «القائلة الظهيرة يقال أتانا عند القائلة، وقد تكون بمعنى القيلولة أيضا، وهى النوم فى الظهيرة... والمقيل أيضا الموضع... ومنه حديث الجنائز هذه فلانة ماتت ظهرا وأنت صائم قائل أى ساكن فى البيت عند القائلة وفى شعر ابن رواحة:

اليوم نضربْكم على تنزيله ... ضربا يزيل الهام عن مقيله

---

(١) لسان العرب ٥ / ٣٣٦٥ (فدم). والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ / ٤٢١.

الهام جمع هامة، وهى أعلى الرأس، ومقيله موضعه مستعار من موضع القائلة »[1] .

الاستعارة فى (مقيله) تبعية فى اسم المكان، وهى استعارة محسوس لمحسوس، وفيها إيماء إلى أن رءوس الكفار ، مؤقتة فى أماكنها كوقت القيلولة لا تلبث إلا ريثما تحققها سيوف المسلمين (ولينصرن الله من ينصره) .

ومن هذا اللون ما ذكره من استعارة الطريف والتليد أى الجديد والقديم من المال للمكارم المكتسبة المستحدثة، والموروثة عن الآباء والأجداد، فقد قال : « قال عدى بن الرقاع يمدح الوليد بن عبد الملك :

غلب المساميح الوليد سماحة   وكفى قريش المعضلات وسادها

وإذا نشرت له الثناء وجدته   ورث المكارم طرفها وتلادها

المساميح جمع مسماح، وهو الكثير السماحة . والمعضلات الأمور الشداد، يقول إذا نزل بهم معضلة، وأمر فيه شدة، قام بدفع ما يكرهون عنهم، ويروى : جمع المكارم، وقوله طرْفها أراد طرفها فأسكن الراء تخفيفا، وإقامة للوزن، وهو جمع طريف، وهو ما استحدثه من المال، والتلاد ما ورثه، وهو المال القديم فاستعاره للكرم »[2] .

ويبدو أن رواية جمع المكارم التى ألمح إليها صاحب اللسان هى المناسبة للمعنى؛ لأن الفعل (ورث) لا يوائم الكرم . المكتسب الذى أتى به الممدوح من تلقاء نفسه .

وقد أورد صاحب لسان العرب عقب كلامه الآنف الذكر ما قاله بعضهم : إن من المستحسن لعدى بن الرقاع فى القصيدة التى منها هذان البيتان، ولم يسبق إليه فى صفة ولد الظبية قوله :

تزجى أغن كأن إبرة روقه   قلم أصاب من الدواة مدادها

---

(١) لسان العرب ٥ / ٣٧٩٧ (قيل) . والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٤ / ١٣٣، ١٣٤ .

(٢) لسان العرب ٥ / ٣٥٨٦ (قرش) .

وهذا البيت وما فيه من تشبيه مشتهر لدى البلاغيين شهرة فائقة تغنى عن أى قول فيه:

ثانيتها – أن يعبر عن الاستعارة التبعية بلفظ التشبيه، أو ما اشتق منه.

ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة الإحراق، أو الاحتراق للهلاك فقد قال: « ... وأحرقه بالنار وحرقه – بتشديد الراء – شدد للكثرة... وفى حديث المظاهر احترقت أى هلكت، ومنه حديث المجامع فى نهار رمضان احترقت شبها ما وقعا فيه من الجماع فى المظاهرة والصوم بالهلاك، وفى الحديث أنه أوحى إلى أن أحرق قريشا أى أهلكهم، وحديث قال الردة فلم يزل يحرق أعضاءهم حتى أدخلهم من الباب الذى خرجوا منه »[1] .

الاستعارة فى قول كل منهما (احترقت) استعير الاحتراق للهلاك، والقرينة ضمير المتكلم فى (احترقت) ومخاطبتهما لرسول الله ﷺ، وقد عبر عنها بالفعل (شبه) وأراد التشبيه الذى تبنى عليه الاستعارة؛ لأن الكلام ليس فيه تشبيه اصطلاحى.

وقد ظفرت بحديث المجامع فى نهار رمضان فى صحيح مسلم فعن عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال احترقت قال رسول الله ﷺ لم؟ قال وطئت امرأتى فى رمضان نهارا قال تصدق تصدق قال ما عندى شىء فأمره أن يجلس فجاءه عرقان[2] فيهما طعام فأمره رسول الله ﷺ أن يتصدق به[3] .

قال الإمام النووى – رحمه الله – قوله: (احترقت فيه استعمال المجاز، وأنه لا إنكار على مستعمله)[4] .

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة انفجار الماء ونحوه، لكثرة انثيال

---

(١) لسان العرب ٢ / ٨٤٠ (حرق) . والنهاية فى غريب الحديث والأثر ١ / ٣٧١ .

(٢) العرق بفتح العين والراء ضفيرة تنسج من خوص، وهو المكتل والزبيل. مختار الصحاح (عرق) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١ / ١٧١ .

(٤) المرجع نفسه والموضع.

الدواهى على الناس، ومفاجأتهم بها، وإفاضة القوم على عدوهم بغتة، فقد قال «الفجر ضوء الصباح، وهو حمرة الشمس فى سواد الليل، وهما فجران، أحدهما المستطيل الكاذب الذى يسمى ذنب السرحان، والآخر المستطير الصادق المنتشر فى الأفق الذى يحرم الأكل والشرب على الصائم... والفجر تفجيرك الماء، والمفجر الموضع ينفجر منه، وانفجر الماء ونحوه من السيال وتفجر انبعث سائلا، والمفجرة والفجرة بالضم منفجر الماء من الحوض وغيره... وانفجرت عليهم الدواهى أتتهم من كل وجه كثيرة بغتة، وانفجر عليهم القوم وكله على التشبيه»[1].

نلحظ أن صاحب اللسان صدر كلامه بعدة استعمالات من مادة (فجر) بدأها بالفجر، وهو ضوء الصباح، وأضاف الفجر أى تفجير الماء، وانفجار الماء ونحوه من سائر السوائل، والمفجر أى الموضع الذى يتفجر منه الماء... وأتى فى عجز كلامه بالاستعارة فى قوله:

وانفجرت عليهم الدواهى إلخ.

استعير انفجار الماء ونحوه لانفجار الدواهى، وإتيانها بكثرة على سبيل المباغتة والمفاجأة، وهى استعارة محسوس لمعقول، واستعير انفجار الماء ونحوه، لإفاضة الأعداء على عدوهم من كل صوب، وحدب، وهى استعارة محسوس لمحسوس.

وقد عبر صاحب اللسان عن تلك الاستعارة بشطريها بلفظ التشبيه حين قال فى إثرها (وكله على التشبيه) يعنى الاستعارة لأنه لا أثر للتشبيه الاصطلاحى فى كلامه.

ويؤكد أمر هذه الاستعارة قول الزمخشرى وابن حجر العسقلانى - رحمهما الله - انفجر عليهم العدو إذا جاءهم بغتة بكثرة، وانفجرت عليهم الدواهى[2].

---

(١) لسان العرب ٥ / ٣٣٥١ (فجر).

(٢) أساس البلاغة (فجر) وعراس الأساس (فجر)

ومس هذا اللون ما ذكره من استعارة الاحتدام، وهو شدة الحر، أو التهاب النار، لامتلاء الصدر بالغيظ، فقد قال: « ... الحدم شدة إحماء الشيء بحر الشمس، والنار تقول حدمه كذا فاحتدم، وقال الأعشى:

وإدلاج ليل على غرة وهاجرة حرها محتدم

... وحدمة النار بالتحريك صوت التهابها، وهذا يوم محتدم، ومحتمد شديد الحر، والاحتدام شدة الحر ابن سيده حدم النار والحر وحدمهما شدة احتراقهما وحميهما الجوهرى احتدمت النار التهبت غيره احتدمت النار والحر اتقدا، واحتدم صدر فلان غيظا، واحتدم على غيظا، وتحدم تحرق، وهو على التشبيه بذلك »[1] .

ذكر صاحب اللسان فى وجه كلامه المتقدم عدة استعمالات حقيقية للاحتدام كاحتدام النار والنهار أى شدة حرهما وغير ذلك، وذكر فى مؤخرة كلامه استعارة هذا الاحتدام لامتلاء الصدر بالغيظ، واشتعاله فى جنباته حتى كاد أن يتفطر، ويتميز، وهى استعارة تبعية فى الفعل الماضى احتدم، وتحدم.

عبر عنها بلفظ التشبيه فى قوله (واحتدم صدر فلان غيظا... وهو على التشبيه) وواضح أنه يعنى بالتشبيه هنا الاستعارة، لأنه لا يوجد فى هذا الكلام تشبيه مصطلح عليه.

ويدعم أمر هذه الاستعارة قول الزمخشرى.. احتدم الحر، واحتدم النهار اشتد حره... ومن المجاز احتدم صدر فلان غيظا، وهو يتحدم على يتغيظ[2] .

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة تناسق الأسنان، وحسن تنضيدها فى الفم، لترتيل الكلام، وإحسان تأليفه، والتؤدة فيه والترسل فى القراءة، والتمهل فيها فقد قال: « ... وثغر رتل، ورتل حسن التنضيد مستوى النبات[3] وقيل

---

(١) لسان العرب ٢/٨٠٧ (حدم) . (٢) أساس البلاغة (حدم) .

(٣) ذكر صاحب لسان العرب فى موضع آخر أن النبتة شكل النبات وحالته التى ينبت عليها (بكسر نون النبتة) والنبتة بفتحها الواحدة من النبات ٦/٤٣١٨ (نبت) .

وفى أساس البلاغة: ثغر مرتل ورتِل ورتل مفلج مستوى النبتة حسن التنضيد (رتل) .

المفلج، وقيل بين أسنانه فروج. لا يركب بعضها بعضا وربما قالوا رجل رتل الأسنان مثل تعب بين الرتل إذا كان مفلج الأسنان، وكلام رتل ورتل أى مرتل حسنٌ على تؤدة، ورتل الكلام أحسن تأليفه، وأبانه، وتمهل فيه، والترتيل في القراءة الترسل فيها، والتبيين من غير بغى، وفى التنزيل العزيز ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [المزمل: ٤] ... وقال مجاهد الترتيل الترسل، قال ورتلته ترتيلا بعضه على أثر بعض، قال أبو منصور ذهب به إلى قولهم ثغر رتل إذا كان حسن التنضيد ...»[١].

ويتابع صاحب لسان العرب كلامه قائلا: « ... وفى صفة قراءة النبى ﷺ كان يرتل آية آية، ترتيل القراءة التأنى فيها، والتمهل، وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل... وقوله عز وجل ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان: ٣٢] أى أنزلناه على الترتيل وهو ضد العجلة، والتمكث فيه»[٢].

ينبىء كلام صاحب اللسان ومن نقل عنهم أن الثغر المرتل، المنضد الأسنان، المفلج، حقيقة لغوية، أما الكلام المرتل، المبين، والقراءة المرتلة، فهما من قبيل الاستعارة، وقد عبر عن تلك الاستعارة، وهو بصدد بيان صفة قراءة النبى ﷺ المذكورة فى عجز كلامه المتقدم بقوله: (ترتيل القراءة التأنى فيها، والتمهل... تشبيها بالثغر المرتل).

فقوله (تشبيها..) يقصد منه الاستعارة على غرار ما تقدم، ويؤكد أمر الحقيقة والاستعارة فى كلامه قول الزمخشرى: ثغر مرتل، ورتل مفلج، مستوى النبتة، حسن التنضيد، ومن المجاز رتل القرآن ترتيلا، إذا ترسل فى تلاوته، وأحسن تأليف حروفه، وهو يترسل فى كلامه، ويترتل[٣].

ويعزز ذلك ما قاله فى إبانة معنى ترتيل القراءة فى آية المزمل من كلام يكاد يكون موافقا لكلام صاحب اللسان حولها، وكأنهما يمتحان من بئر واحدة، أو

---

(١) لسان العرب ٣ / ١٥٧٨ (رتل).

(٢) لسان العرب ٣ / ١٥٧٨ (رتل) والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ / ١٩٤

(٣) أساس البلاغة (رتل)

ينقلان عن أصل واحد، فقد قال: «ترتيل القرآن قراءته على ترسل، وتؤدة بتبيين الحروف، وإشباع الحركات، حتى يجىء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل، وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان، وألا يهذّه هذّا - أى يسرع فى قراءته - ولا يسرده سردا، وسئلت عائشة - رضى الله عنها - عن قراءة النبى ﷺ فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفها، لعدها»[1].

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة (رثم) الأنف، والفم، وهو تلطخهما بالدم بعد كسرهما، وجرحهما، لطلاء المرأة أنفها، أو فمها بالطيب، فقد قال: «ورثم أنفه وفاه يرثمه رثما فهو مرثوم ورثيم إذا كسره حتى تقطر منه الدم، وكذلك رثمه بالتاء، وكل ما لطخ بدم أو كسر فهو رثيم... ورثمت المرأة أنفها بالطيب لطخته، وطلته، وهو على التشبيه»[2].

فالأنف، أو الفم الذى لطخ بالدم حقيقة لغوية - كما أبان وأوضح - فى صدر كلامه، وقد استعير ذلك كما ذكر فى عجز كلامه المتقدم لتضميخ كل من الأنف، والفم بالطيب، وهذه استعارة تبعية في الفعل الماضى (رثم) أو فى اسم المفعول (مرثوم) اللذين جاءا فى كلامه الآنف الذكر. وقد عبر عن هذه الاستعارة بلفظ التشبيه عندما قال (... وهو على التشبيه) وواضح أنه يريد بالتشبيه الاستعارة كما يدل على ذلك مقام الكلام.

ويتراءى لى أن هذه الاستعارة فيها سماجة، وقبح؛ لأن الدم الذى يجلل الأنف، أو الفم المكسور، أو المجروح، ويكسوه، يثير فى النفس الاشمئزاز، والتقزز، والرثاء، فلا يتلاءم مع وضع الطيب الذى يفترض فيه أن يمتع النفس، ويسعدها، ويدخل عليها البهجة، والسرور، فشتان ما بينهما.

وقد أورد صاحب اللسان عقب تلك الاستعارة تشبيها صريحا يشينه هذا العيب أيضا حين قال: «قال ذو الرمة يصف امرأة:

---

(١) الكشاف ٤/١٥٢

(٢) لسان العرب ٣/١٥٨٢ (رثم).

تثنى النقاب على عرنين أرنبة شـماء ما رنها بالمسك مرثوم

قال الأصمعى الرثم أصله الكسر، فشبه أنفها ملغما[1] بالطيب بأنف مكسور، ملطخ بالدم، كأنه جعل المسك فى المارن شبيها بالدم فى الأنف المرثوم»[2] واضح أن التشبيه فى قول الشاعر (ما رنها.. مرثوم) المارن هو الأنف وهذا تشبيه بليغ.

فالشاعر يمدح هذه المرأة، ويصفها بأنها شماء العرنين، شريفة، رفيعة القدر، وهذا يعنى أن الغرض من التشبيه تزيينها، والثناء عليها، ووصف مارنها الملغم بالطيب بكونه يشبه أنفا مكسورا ملطخا بالدماء يقبحها، وينفر النفوس منها.

ومن هذا النمط ما ذكره من استعارة تفديم الأفواه (بالفاء) وهو وضع شىء عليها كالكعام يمنعها من الأكل، لمنع الناس واحتباس ألسنتهم عن الكلام، فقد قال: « ... والفدام شىء تشده العجم على أفواهها عند السقى الواحدة فدامة، وأما الفدام فإنه مصفاة الكوز والإبريق ونحوه... وفدم فاه وعلى فيه بالفدام يفدم فدما وفدم وضعه عليه، وغطاه، ومنه رجل فدم أى عيى ثقيل بين الفدامة، والفدومة وفى الحديث إنكم مدعوون يوم القيامة مفدمة أفواهكم بالفدام. هو ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذى فيه أى أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم وجلودهم، فشبه ذلك بالفدام»[3].

الاستعارة التبعية هنا فى اسم المفعول (مفدّمة) فى الحديث الذى أورده (... مفدمة أفواهكم بالفدام) مأخوذ من الفعل الماضى (فدم) المضعف – كما لا يخفى – .

---

(١) – ملغما – أى وضع عليه الطيب . انظر لسان العرب ٥ / ٤٠٤٩ (لغم) .

(٢) المصدر نفسه ٣ / ١٥٨٢ (رثم) .

(٣) لسان العرب ٥ / ٣٣٦٥ (فدم) . والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ / ٤٢١

استعير وضع الفدام على الفم لمنع أفواههم، وحبسها عن الكلام حتى لا ينبسوا ببنت شفة إلى أن ينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم بما قدمت أيديهم.

وقد عبر عنها بالفعل (شبه) فى قوله (فشبه ذلك بالفدام) والمقصود من ذلك التشبيه الاستعارة كما ينطق بذلك سياق الكلام.

ثالثتها – أن يعبر عن الاستعارة التبعية بأنها (مثل) ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة الفراغ من الأشياء المحسوسة، للخلو من الشىء فى المعقولات، فقد قال: «الفراغ الخلاء فرغ يفرغ ويفرغ فراغا وفروغا... وفى التنزيل ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا** ﴾ [القصص: ١٠].. أى خاليا من الصبر... وفرغ المكان أخلاه... واستفرغت مجهودى فى كذا أى بذلته يقال استفرغ فلان مجهوده إذا لم يبق من جهده وطاقته شيئا، وفرغ الرجل مات مثل قضى، وهو على المثل؛ لأن جسمه خلا من روحه»(١).

يبدو من خلال تلك الكلمات أن تفريغ المكان مما فيه حقيقة، أما فراغ القلب من الصبر، وهو أمر معنوى، وبذل الجهد والطاقة واستفراغهما فى العمل – استعارة، يؤكد ذلك ما ذكره الزمخشرى من أن قولنا استفرغ فلان مجهوده من المجاز(٢).

ومن الاستعارة كذلك ما ذكره صاحب اللسان فى عجز كلامه المتقدم فى قوله (وفرغ الرجل مات... وهو على المثل إلخ) واضح أن الاستعارة التبعية فى الفعل الماضى (فرغ) وقد عبر عنها بكلمة (المثل) وكأنه اعتبر الروح عرضا يسرى فى ثنايا الجسم كله، فلما فرغ ذلك العرض من الجسم فارق الحياة.

وفى مادة (فرغ) نفسها أشار إلى أن الإفراغ وهو صب الماء ونحوه يستعار لإنزال الصبر.

فقد قال: «... والإفراغ الصب، وفرغ عليه الماء، وأفرغه صبه... وأنشد:

فرغن الهوى فى القلب ثم سقينه ... صبابات ماء الحزن بالأعين النجل

---

(١) لسان العرب ٥/٣٣٩٦ (فرغ).

(٢) أساس البلاغة (فرغ).

وفى التنزيل ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة: ٢٥٠] أى اصبب، وقيل أنزل علينا صبرا يشتمل علينا وهو على المثل»[١].

فإفراغ الماء أى صبه حقيقة كما يتجلى ذلك من كلامه، وفراغ الهوى فى قول الشاعر (فرغن الهوى فى القلب...) استعارة، ولا يخى أنها استعارة محسوس لمعقول، استعار فراغ الماء أى صبه لفراغ الحب والهوى في القلب، وهى استعارة تبعية فى الفعل الماضى (فرغ) وفى الآية الكريمة ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ استعير إفراغ الماء لإنزال الصبر والطمأنينة على القلب، وقد أومأ إلى تلك الاستعارة بكلمة (المثل) ويريد بها الاستعارة.

ومن هذا النوع ما أشار إليه من استعارة إبقال النبت، وهو خروجه من الأرض لطلوع شعر اللحية، وناب البعير فقد قال: «وبقل النبت يبقل بقولا وأبقل طلع، وأبقله الله، وبقل وجه الغلام يبقل بقلا... خرج شعره... وأبقله الله أخرجه، وهو على المثل... وفى حديث أبى بكر والنسابة فقام إليه غلام من بنى شيبان حين بقل وجهه أى أول ما نبتت لحيته، وبقل ناب البعير يبقل بقولا طلع على المثل أيضا...»[٢].

فإبقال النبت أى طلوعه من الأرض حقيقة كما يتبدى ذلك من صدر كلامه الآنف الذكر، أما إبقال وجه الغلام، وإبقال ناب البعير، فذلك من قبيل الاستعارة، وهى استعارة محسوس لمحسوس، استعار إبقال النبات لطلوع شعر لحية الغلام، وطلوع ناب البعير.

وقد يؤكد ذلك ما قاله الزمخشرى أبقلت الأرض إذا اخضرت بالنبات، ومن المجاز بقل وجه الغلام وبقل ناب البعير[٣] وغير خاف أنها استعارة تبعية فى بقل، ويبقل - كما قال - وقد ألمع إليها بكلمة (المثل).

---

(١) لسان العرب ٥/ ٣٣٩٦ (فرغ).

(٢) لسان العرب١/ ٣٢٩ (بقل). والنهاية فى غريب الحديث والأثر ١/ ١٤٧

(٣) أساس البلاغة (بقل)

ويلاحظ أن فى (.. وجه الغلام) مجاز مرسل علاقته المحلية، أطلق المحل وهو الوجه وأريد به الحال، وهو شعر الوجه، وفى هذا المجاز إيماء إلى غزارة ذلك الشعر، وكثافته.

ومن هذا اللون ما لمع إليه من استعارة فعومة الوجه والساق ونحوهما وهو امتلاؤهما، لامتلاء البيت طيبا فقد قال: « الفعم والأفعم الممتلىء... وساعد فعم، فعم يفعم فعامة وفعومة فهو فعم ممتلىء ووجه فعم، وجارية فعمة وافعوعم قال كعب يصف نهرا:

مفعوعمٌ صـخبُ الآذى منبعـقٌ   كأن فيه أكف القوم تصطفق[1]

وفى صفته ﷺ كان فعم الأوصال أى ممتلىء الأعضاء... وأفعمت البيت برائحة العود فافعوعم، وأفعم المسك البيت ملأه بريحه، وأفعم البيت طيبا ملأه وهو على المثل... »[2] .

واضح من كلامه المتقدم أن فعومة الوجه، والساعد، والساق، والأوصال، والنهر، ونحو ذلك حقيقة، أما ما ذكره من مثل أفعمت البيت برائحة العود، وأفعم المسك البيت، فهو استعارة تبعية فى الفعل (أفعم) وقد أشار إليها بكلمة (المثل) فى عجز كلامه المتقدم، ويؤكد كلامه فى هذا الصدد قول الزمخشرى ومن المجاز أفعمت البيت طيبا، وأفعمته غضبا[3] .

ومن هذا الضرب ما أشار إليه من استعارة سوغ الشراب والطعام فى الحلق، لسهولة أول النهار فقد قال: ساغ الشراب فى الحلق يسوغ سوغا وسواغا سهل مدخله فى الحلق، وساغ الطعام سوغا نزل فى الحلق... وقول عبد الله بن مسلم الهذلى:

قد ساغ فيه لها وجه النهار   كما ساغ الشراب لعطشان إذا شربا

---

(١) الآذى - الموج الشديد والجمع أوازى المعجم الوجيز. والمنبعق - شديد الاندفاع، ينظر لسان العرب ١/٣١٤ (بعق) .

(٢) لسان العرب ٥/٣٤٣٩ ، ٣٤٤٠ (فعم) . والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/٤٦٠ .

(٣) أساس البلاغة (فعم) .

أراد سهل فاستعمله فى النهار على المثل»[1]

واضح من أول كلامه المتقدم أن سوغ الشراب والطعام فى الحلق حقيقة على حد قول الشاعر:

وساغ لى الشراب وكنت قبلا   أكاد أغص بالماء الفرات[2]

أما سوغ النهار، أو وجه النهار أى أوله فهو استعارة استعير فيها المحسوس وهو سهولة دخول الطعام والشراب فى الحلق، للمعقول أعنى سهولة وجه النهار وطيبه وهناءته، وهى تبعية فى الفعل (ساغ) فى الشطر الأول، وقد عبر عنها بكلمة (المثل) ويقصد منها الاستعارة.

ومن هذا القبيل ما ألمع إليه من استعارة الدحوض، وهو الزلق لإبطال الحجة فقد قال: «الدحض الزلق، والإدحاض الإزلاق... ودحضت رجل البعير... وفى حديث الجمعة كرهت أن أخرجكم فى الطين، والدحض أى الزلق... وفى حديث الحجاج فى صفة المطر فدحضت التلاع أى صيرتها مزلقة، ودحضت حجته دحوضا كذلك على المثل إذا بطلت وأدحضها الله، قال الله تعالى: ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾ [الشورى: ١٦] وأدحض حجته إذا أبطلها..»[3].

الدحض فى الشطر الأول من كلامه السابق حقيقة، وقد بين أن المكان الدحض بسكون الحاء وفتحها هو الذى تزل فيه الأقدام، ولا تثبت عليه لملاسته[4] فيقال دحضت رجل البعير إذا زلقت وزلت، ودحضت الأمطار الطريق، إذا صيرتها مزلقة مزلة. أما الدحض فى الشطر الأخير من كلامه، فهو استعارة تبعية فى الفعل الماضى فى قوله: (ودحضت حجته دحوضا كذلك على المثل) وقد عبر عنها بكلمة المثل.

---

(١) لسان العرب ٣ / ٢١٥٢ (سوغ).

(٢) شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام / ٢١ ، شرح الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد.

(٣) لسان العرب ٢ / ١٣٣٥ (دحض). والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ / ١٠٤

(٤) المصدر نفسه ، والموضع

وهى استعارة محسوس لمعقول، استعير فيها دحض رجل البعير – مثلا – فى الزلق، فيسقط على الأرض، وربما ينفق، ويهلك وذلك أمر محسوس، لإبطال حجة الخصم، وإزالتها، وإزهاقها، وذلك أمر معقول.

رابعتها – أن يجمع فى التعبير عنها بين الاستعارة والاتساع، كما ذكر فى استعارة عدم الدثور – أى عدم القدم – لقدم الحسب، وعدم بلاه فقد قال: «الدثور الدروس قد دثر الرسم، وتداثر، ودثر الشيء يدثر دثورا، واندثر قدم ودرس، واستعار بعض الشعراء ذلك للحسب اتساعا فقال:

فى فتية بسط الأكف مسامح   عند القتال قديمهم لم يدثر

أى حسبهم لم يبل ولا درس»[1].

وهذه استعارة تبعية فى الفعل المضارع المنفى (يدثر) أى أنّ حسبهم تليد، توارثوه كابرا عن كابر، ولا يزال فى قمة جدته، لم يخلق، أو يلحقه البلى.

ومن الجمع فى التعبير عنها بين الاستعارة والمثل فى موضعين ما ذكره من استعارة نسج الثوب لتلفيق الكذب، ونظم الشعر وغيرهما، فقد قال فى أحد الموضعين: «.. والنسج معروف، ونسج الحائك الثوب ينسجه وينسجه نسجا.. لأنه ضم السدى إلى اللحمة [2] وهو النساج وحرفته النساجة... ونسج الكذاب الزور لفقه، ونسج الشاعر الشعر نظمه، والشاعر ينسج الشعر، والكذاب ينسج الزور، ونسج الغيث النبات كله على المثل..»[3].

فقد استعير نسج الثوب وحياكته لتلفيق الكذب والزور، وكذلك استعير نسج الثوب لنظم الشعر وتأليفه، واستعير كذلك لإخراج الغيث النبات، وتزيين الأرض به، وقد سمى صاحب اللسان كل ذلك مثلا.

---

(١) لسان العرب ٢/١٣٢٦ (دثر).

(٢) اللُّحْمة من الثوب خيوط النسج العرضية يلحم بها السدى، والسَّدَى من الثوب خلاف اللحمة، وهو ما يمد طولا فى النسيج الواحدة سداة.
ينظر المعجم الوجيز (لحم) و (سدى).

(٣) لسان العرب ٦/٤٤٠٦ (نسج).

وقد سبق في موضع آخر أنه سمى استعارة صوغ الذهب والفضة لصوغ الزور، ونظم الشعر، وهي نظيرة الاستعارة التي نحن بصددها سماها استعارة[1] فيكون قد جمع في التعبير عنها بين الاستعارة والمثل.

خامستها – أن يجمع وهو يعبر عنها بين الاستعارة والمثل، ومن ذلك ما أومأ إليه من استعارة الشبع من الذوات، والمحسوسات للمعاني، فقد قال: «الشبع ضد الجوع، وهو شبعان، والأنثى شبعى وشبعانه.... وأشبع الثوب وغيره رواه صبغا، وقد يستعمل في غير الجواهر على المثل، كإشباع النفخ والقراءة، وسائر اللفظ، وكل شيء توفره فقد أشبعته حتى الكلام يشبع فتوفر حروفه،وتقول شبعت من هذا الأمر ورويت إذا كرهته،وهما على الاستعارة»[2].

واضح من كلامه المذكور أن الشبع الذي هو ضد الجوع حقيقة، كما في قول القائل – مثلا – شبعت من هذا الطعام.

ويستعمل في غير ذلك على المثل كما قال (وقد يستعمل في غير الجواهر على (المثل) كما في قولنا أشبعت القراءة، أو الكلام.

وقد أضاف قائلا (وتقول شبعت من هذا الأمر، ورويت إذا كرهته، وهما على الاستعارة).

الاستعارة كما لا يخفى في (شبعت... ورويت) وهي تبعية، وقد جمع في هذا الموضع بين لفظ الاستعارة، وكلمة المثل، ويريد بهما الاستعارة.

ويؤكد أمر هذه الاستعارة ،قول الزمخشري: ومن المجاز شبعت من هذا الأمر، ورويت إذا مللته وكرهته، وأشبع الثوب صبغا، وثوب شبيع الغزل كثيره، وأشبع الرجل كلامه، وساق في هذا المعنى فصلا مشبعا، وكل ما وفرته فقد أشبعته[3].

سادستها – أن يجمع في التعبير عنها بين المثل والمجاز فقد أشار إلى

---

(١) سبق ذكر هذه الاستعارة في التبعية التي أطلق عليها لفظ الاستعارة، أو ما اشتق منه.

(٢) لسان العرب ٤ / ٢١٨٧ (شبع).   (٣) أساس البلاغة (شبع).

استعارة ذوق الأشياء باللسان ليعرف طعمها، وهو من المحسوسات، لذوق المكروه والعذاب، ونحوهما، وهى أمور معنوية عقلية، وعبر عن تلك الاستعارة مرة بالمجاز، ومرة بالمثل فقد قال: «الذوق مصدر ذاق الشىء يذوقه ذوقا، وذواقا ومذاقا، فالذواق، والمذاق يكونان مصدرين، ويكونان طعما كما تقول ذواقه، ومذاقه طيب، والمذاق طعم الشىء.... وذاق العذاب والمكروه، ونحو ذلك وهو مثل وفى التنزيل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] وفى حديث أحد أن أبا سفيان – قبل إسلامه – لما رأى حمزة رضى الله عنه مقتولا قال له ذق عقق أى ذق طعم مخالفتك لنا، وتركك دينك الذى كنت عليه ياعاق لقومه، جعل إسلامه عقوقا، وهذا من المجاز أن يستعمل الذوق، وهو ما يتعلق بالأجسام فى المعانى...»[١].

يتجلى من صدر كلامه السابق أن ذوق الأشياء باللسان؛ ليخبر مذاقها حقيقة، ويتبدى فى أواخر كلامه أن هذا الذوق يستعار للأمور المعنوية فيقال ذاق فلان العذاب، والمكروه، ونحوهما، ومنه – كما قال – قوله تعالى لمن يعذب فى النار، ويصلى سعيرها (ذق.. الآية) وهى استعارة تبعية فى الفعل (ذاق..) أو (ذق..) وقد عبر عنها مرة بالمجاز، ومرة بالمثل – كما رأينا فى ثنايا كلماته – ويلاحظ أنه أشار فى هذا الموضع إلى المحسوسات بالأجسام، وإلى المعقولات بالمعانى.

سابعتها – أن يجمع فى التعبير عنها بين التشبيه والتمثيل فقد أشار فى أحد المواضع إلى أن تلقين الإمام القراءة إذا استغلقت عليه فى الصلاة مستعار من إطعام الطعام لمن طلبه، واحتاج إليه فقال: «الطعام اسم جامع لكل ما يؤكل... واستطعمه سأله أن يطعمه، وفى الحديث إذا استطعمكم الإمام فأطعموه أى إذا أرتج عليه فى الصلاة واستفتحكم فافتحوا عليه ولقنوه، وهو من باب التمثيل تشبيها بالطعام كأنهم يدخلون القراءة فى فيه كما يدخل الطعام...»[٢].

---

(١) لسان العرب ٣/١٥٢٧ (ذوق). وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/١٧٢

(٢) لسان العرب ٤/٢٦٧٣، ٢٦٧٤ (طعم).

فاستعمال الطعام فى المأكول حقيقة، كما هو واضح من أول كلامه، وقد أشار فى آخره إلى أن الاستطعام يستعار للحاجة إلى الإقراء، وأن إسعاف الإمام بتلقينه القراءة إذا أرتج عليه فى الصلاة مستعار من إطعام الطعام لمن طلبه، واحتاج إليه، وهى استعارة تبعية فى (استطعمكم) و (فأطعموه) وقد جمع فى تبيانها بين التشبيه والتمثيل، ولا تشبيه مصطلح عليه فى الحديث الذى هو بصدده، إنما هو التشبيه الذى تنبنى عليه الاستعارة، وقد أبانه بقوله (كأنهم يدخلون القراءة فى فيه كما يدخل الطعام) وهو كعادته عندما يتناول الأحاديث ينقل عن ابن الأثير - أحيانا - الكلام بنصه وفصه، وهو مقر بذلك، وراض عنه كل الرضا - وقد أشرت إلى ذلك قبلا - يقول ابن الأثير: « ... وفيه إذا استطعمكم الإمام فأطعموه أى إذا ارتج عيه فى قراءة الصلاة واستفتحكم فافتحوا عليه ولقنوه، وهو من باب التمثيل تشبيها بالطعام كأنهم يدخلون القراءة فى فيه كما يدخل الطعام »[1] .

ويمكن تكون الاستعارة فى الحديث تمثيلية استعيرت فيها صورة من يطعم الطعام للجائعين لصورة من يلقن الإمام القراءة، لكن قوله (تشبيها بالطعام..) هكذا بالطعام على حدته جعلنى أذكرها فى التبعية.

ثامنتها - ألا يصرح بشئ مما سبق ذكره، ولكن تناوله لها، وتوضيحه لمعناها يشعر أنها استعارة تبعية، فمن ذلك ما أشار إليه من استعارة التغمد وهو غمد السيف فى جرابه، للستر، والتغشية برحمة الله، فقد قال: « الغمد جفن السيف، وجمعه أغماد وغمود... وتغمده الله برحمته غمده فيها وغمره بها، وفى الحديث أن النبى ﷺ قال ما أحد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا أنت قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته قال أبو عبيد قوله يتغمدنى يلبسنى ويتغشانى ويسترنى بها.

قال - أى أبو عبيد - يعنى أنه يلقى نفسه عليهم ويركبهم ويغشيهم قال

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/ ١٢٧

ولا أحسب هذا إلا مأخوذا إلا من غمد السيف، وهو غلافه؛ لأنك إذا أغمدته فقد ألبسته إياه، وغشيته به » [1] .

لا يخفى أن الاستعارة فى (يتغمدنى) وهى تبعية فى الفعل المضارع، استعير فيها وضع السيف فى جرابه، وتغطيته به، لستر الإنسان برحمة الله، وغمره فيها، وهى استعارة محسوس لمعقول، وقد شرحها صاحب اللسان، وكشف اللثام عن مضمونها دون أن يصرح باستعارة أو غيرها كعادته التى ألفناها فيما سبق بيانه وقد حظيت هذه الاستعارة بشهرة فائقة تكاد تكون منقطعة النظير على ألسنة الناس، وفى وسائل الإعلام المختلفة عند الترحم على من مات من المسلمين.

ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة النوم للموت فقد قال: « .. ونامت الشاة وغيرها من الحيوان إذا ماتت، وفى حديث على أنه حث على قتال الخوارج فقال إذا رأيتموهم فأنيموهم أى اقتلوهم، وفى حديث غزوة الفتح فما أشرف لهم يومئذ أحد إلا أناموه أى قتلوه يقال نامت الشاة وغيرها إذا ماتت والنائمة الميتة »[2] .

فقد استعير النوم فى هذه الأفعال (نامت، أناموه، أنيموهم) للموت، وذلك واضح من شرحه وبيانه، من غير أن يصرح باستعارة أو غيرها.

وقد ذكر عكس ذلك، وهو استعارة الموت للنوم ولكنه أشار إليها بكونها تمثيلا وتشبيها فقال: « ... وفى حديث دعاء الانتباه الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور سمى النوم موتا لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلا وتشبيها لا تحقيقا .. »[3] .

وقد عرض ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى لشرح هذا الحديث، وبيان

---

(١) لسان العرب ٥ / ٣٢٩٢ (غمد) . وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ / ٣٨٣

(٢) لسان العرب ٦ / ٤٥٨٦ (نوم) . وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٥ / ١٣١

(٣) لسان العرب ٦ / ٤٢٩٥ (موت) . وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤ / ٣٦٩

الاستعارة فيه فقال: «قوله (وإذا قام قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا ...) قال أبو إسحاق الزجاج النفس التى تفارق الإنسان عند النوم هى التى للتمييز، والتى تفارقه عند الموت هى التى للحياة وهى التى يزول معها التنفس، وسمى النوم موتا لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلا وتشبيها قاله فى النهاية[١] ويحتمل أن يكون المراد بالموت هنا السكون كما قالوا ماتت الريح أى سكنت...»[٢] ثم نقل ابن حجر عن بعض العلماء قوله موضحا وجه إطلاق الموت على النوم فقال: «الحكمة فى إطلاق الموت على النوم أن انتفاع الإنسان بالحياة إنما هو لتحرى رضا الله عنه، وقصد طاعته، واجتناب سخطه وعقابه فمن نام زال عنه هذا الانتفاع فكان كالميت، فحمد الله على هذه النعمة، وزوال ذلك المانع...»[٣].

ومن هذا الضرب ما أشار إليه من استعارة الفعل (نادى) (لظهر) فقد قال: «ونادى لك الطريق، وناداك ظهر، وهذا الطريق يناديك...»[٤].

يبدو أن الاستعارة هنا تبعية فى (نادى) و (ناداك) لأنه وضحها بالفعل (ظهر) وعليه يكون معنى (يناديك) يظهر لك، وذلك لأن النداء، أو من ينادى ظاهر، جلى كالنهار لا يحتاج إلى دليل.

ومن ذلك النوع ما أشار إليه من الاستعارة فى الحرف فقد قال: «... ومنها لام العاقبة كقول الشاعر:

فللموت تغذو الوالدات سخالها   كما لخراب الدور تبنى المساكن

أى عاقبته ذلك قال ابن برى ومثله قول الآخر:

أموالنا لذوى الميراث نجمعها   ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وهم لم يبنوها للخراب، ولكن مآلها إلى ذلك، ومثله ما قاله شتيم بن خويلد الفزارى يرثى أولاد خالدة الفزارية...

---

(١) المصدر نفسه والموضع.
(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ١١/ ١١٧
(٣) المرجع نفسه ١١/ ١١٨
(٤) لسان العرب ٦/ ٤٣٨٨ (ندى).

فإن يكن الموت أفناهم فللموت ما تلد الوالدة

ولم تلدهم أمهم للموت، وإنما مآلهم وعاقبتهم الموت... وفى التنزيل العزيز: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٨] ولم يلتقطوه لذلك، وإنما مآله العداوة»[١].

لا يخفى أن الاستعارة فى هذه الشواهد كلها، فى استعارة لام التعليل للام العاقبة، وهى استعارة تبعية فى الحرف، ولكنه لم يصرح بكونها استعارة، اكتفاء بتلك اللمحة الدالة، لام العاقبة.

* * *

(١) لسان العرب: ٥/ ٤١٠٤ (لوم).

الاستعارة التمثيلية

أو المجاز المركب كما قال الخطيب القزوينى هى اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى تشبيه التمثيل للمبالغة فى التشبيه، أى تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ثم تدخل المشبه فى جنس المشبه بهما مبالغة فى التشبيه..»[1] .

وقد ألقى الشيخ عبد القاهر الجرجانى على هذه الاستعارة مزيدا من الضوء ومضمون حديثه حولها أنها استعارة صورة مركبة لصورة مركبة أخرى، ومما قاله فى هذا الصدد « .. تقول للرجل يعمل فى غير معمل أراك تنفخ فى غير فحم، وتخط على الماء فتجعله فى ظاهر الأمر كأنه ينفخ ويخط والمعنى على أنك فى فعلك كمن يفعل ذلك...»[2] .

ولذلك قال سعد الدين التفتازنى إن حاصل هذه الاستعارة أن تشبه إحدى الصورتين المنتزعتين من متعدد بالأخرى ثم يدعى أن الصورة المشبهة من جنس الصورة المشبه بها فيطلق على الصورة المشبهة اللفظ الدال بالمطابقة على الصورة المشبه بها[3] .

وكلام السعد واضح الدلالة على أن الاستعارة التمثيلية ما صرح فيها بالمشبه به المركب، وطوى ذكر هيئة المشبه، فتكون الاستعارة التمثيلية من قبيل التصريحية، وقد وجدت فى كلام بعض الباحثين المعاصرين «أن الاستعارة التمثيلية لا تكون إلا تصريحية... صرح فيها بلفظ المشبه به، واستعمل فى المشبه كقول الشماخ أبى سعيد بن ضرار الغطفانى، وهو من الشعراء المخضرمين:

رأيت عرابة الأوسى يسمو   إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين..»[4]

ثم أضاف أن التركيب الدال على الهيئة المشبه بها استعير للهيئة المشبه بها على طريق الاستعارة التمثيلية التصريحية[5] .

---

(١) الإيضاح / ١٤٧ مع (البغية) .

(٢) دلائل الإعجاز / ٦٨ .

(٣) المطول / ٣٧٩

(٤) فن الاستعارة / ١٠٣

(٥) المرجع نفسه بتصرف قليل / ١٠٤

وقد ذكر صاحب لسان العرب صورا من هذه الاستعارة، وكان يصرح أحيانا بأنها استعارة، أو تشبيه يقصد باعتبار الأصل أو نحو ذلك.

وقد جاء تناوله لتلك الاستعارة على عدة صور:

إحداها – أنه كان يصرح بلفظ الاستعارة أو ما اشتق منه، من ذلك ما ذكره من استعارة وضع الكور على ظهر الناقة، وتذليلها بالعمل الدءوب، لإخضاع نفس الإنسان الأبى، وإلانة قناعة، وكبح غلوائه فقد قال: «الكور الرحل رحل الناقة كالسرج للفرس... وقول خالد بن زهير الهذلي:

نشأت عسيرا لم تديث عريكتي ولم يستقر فوق ظهرى كورها

استعار الكور لتذليل نفسه، إذ كان الكور مما يذلل به البعير ويوطأ ولا كور هنالك»[1].

فنجده قد صرح بالفعل (استعار) فى قوله استعار – أى الشاعر – الكور لتذليل نفسه، ولا كور هنالك – كما قال – ولا ظهر، وإنما هى استعارة تمثيلية، استعيرت فيها صورة محسوسة لصورة معقولة.

ويبدو أنه لم يقصد كلمة (الكور) وحدها حتى تكون استعارة مفردة، ولكنه يومىء بذلك إلى الكور واستقراره على ظهر الناقة، أو البعير، يريد الشاعر أن يقول إنه نشأ أبيا عزيزا، لم توطأ عريكته، أو تذل نفسه، يقال ديث الأمر لينه، وديث الطريق وطاه، وديثه الدهر حنكه وذلله[2] والعريكة هى النفس[3].

ومن ذلك النوع أيضا ما صرح به من استعارة حفر البئر، وخسفها، واستخراج الماء منها لتبصير الشعراء بمعانى الشعر، وفنونه، وارتياد آفاقه، وضروبه فقد قال: «وفى حديث عمر أن العباس سأله عن الشعراء فقال امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور[4] أصح بصر أى أنبطها

---

(١) لسان العرب ٥/٣٩٥٣ (كور). (٢) ينظر المصدر نفسه ٢/١٤٦٥ (ديث).

(٣) ينظر المصدر نفسه ٤/٢٩١٢ (عرك).

(٤) فى هامش لسان العرب ٢/١١٥٨ (خسف). فافتقر إلخ فسره ابن الأثير فى مادة (فقر) فقال: أى فتح عن معان غامضة.

وأغزرها لهم من قولهم خسف البئر إذا حفرها فى حجارة فنبعت بماء كثير، يريد أنه ذلل لهم الطريق إليه، وبصرهم بمعانى الشعر، وفنن أنواعه، وقصده فاحتذى الشعراء على مثاله، فاستعار العين لذلك »[1] .

فصرح بالفعل (استعار) فى قوله (فاستعار العين لذلك) وهذا الكلام برمته مأخوذ من كلام ابن الأثير حول هذه الاستعارة[2] ويبدو من سياق الكلام أن الاستعارة ليست فى كلمة (عين) وحدها كما قد يتبادر إلى الذهن، وإنما هى فى حفرها، واستخراج الماء منها بغزارة، وقد استعيرت تلك الصورة المحسوسة لفتح الطريق أمام الشعراء لارتياد معانى الشعر، والتطرق إلى أغراضه المختلفة، والتجوال فى آفاقه الرحبة الفسيحة، وهى صورة معقولة.

ثانيتها – أن يصرح بأنها تشبيه وذلك – كما هو معروف بحسب الأصل – ومن ذلك ما أشار إليه من استعارة صورة استخراج القراد من البعير حتى يأنس وينقاد لمقرده، لصورة من يخادع إنسانا ويلاطفه حتى يستسلم لرأيه، ويركن إليه فقد قال: « . . والقراد معروف واحد القردان، والقراد دويبة تعض الإبل . . . وتقول منه قرّد بعيرك أى انزع منه القردان، وقرده ذلّله، وهو من ذلك؛ لأنه إذا قرد سكن لذلك، وذل، والتقريد الخداع مشتق من ذلك؛ لأن الرجل إذا أراد أن يأخذ البعير الصعب قرده أولا . . ويقال فلان يقرد فلانا إذا خادعه متلطفا، وأصله الرجل يجىء إلى الإبل ليلا ليركب منها بعيرا فيخاف أن يرغو فينزع منه القراد حتى يستأنس إليه ثم يخطمه، وإنما قِيل لمن يذل قد أقرد لأنه شبه بالبعير يقرد أى ينزع منه القراد فيقرد لخاطمه، ولا يستصعب عليه »[3] .

فعبر عن تلك الاستعارة بالفعل (شبه) فى قوله (لأنه شبه بالبعير يقرد . . .) وواضح أنها تمثيلية استعيرت فيها صورة البعير وتقريده، وهى محسوسة، لصورة مخادعة الرجل ومداهنته، وهى معقولة.

---

(١) لسان العرب ٢ / ١١٥٨ (خسف) .   (٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ / ٣١
(٣) لسان العرب ٥ / ٣٥٧٦ (قرد) .

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة جفاف الأقلام، وطى الصحف للفراغ من كتابة المقادير فِي اللوح المحفوظ فقد قال: «وقد جف الثوب وغيره يجف وفى الحديث جفت الأقلام، وطويت الصحف، يريد ما كتب فى اللوح المحفوظ من المقادير، والكائنات، والفراغ منها تشبيها بفراغ الكاتب من كتابته، ويبس قلمه»[١].

فقد استعيرت صورة فراغ الكاتب من كتابته، وطيه أوراقه التى يكتب فيها، وجفاف قلمه من مداده. لصورة الفراغ من كتابة المقادير فى اللوح المحفوظ، وقد أطلق عليها صاحب اللسان كلمة (تشبيه) فى قوله (.. تشبيها بفراغ الكاتب...) وذلك باعتبار أصلها الذى بنيت عليه.

ومن هذا النمط أيضا ما أشار إليه من استعارة هيئة من يقوم بعجن العجين، لاعتماد المصلى على يديه عند قيامه من السجود فقد قال: «.. وفى حديث ابن عمر – رضى الله عنهما – أنه كان يعجن فى الصلاة فقيل له ما هذا؟ فقال رأيت رسول الله ﷺ يعجن فى الصلاة أى يعتمد على يديه إذا قام كما يفعل الذى يعجن العجن»[٢].

واضح أن هذا مجاز مركب – أعنى استعارة تمثيلية – استعيرت فيه هيئة العاجن المعهود، لهيئة المصلى الذى يعتمد على يديه عندما يقوم من سجوده، وكلتاهما هيئة محسوسة، وغنى عن البيان أن (الكاف) فى قوله (.. كما يفعل العاجن) هى كاف التشبيه.

ولولا حمل هذا الكلام على المجاز، لوقف القارىء أمامه مدهوشا عاجزا عن فهمه، إذ كيف يعجن الرسول ﷺ فى الصلاة؟ فلله در العلماء الذين بينوا، ووضحوا، وأنارو الطريق (ولله در العلم ومن به تردى، وتعسا للجهل ومن فى أوديته تردى).

---

(١) لسان العرب ١/ ٦٤١ (جفف).

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٢٨٢٩ (عجن). وينظر النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/ ١٨٨

ومن هذا القبيل ما أشار إليه من استعارة بيض الطائر، وملازمته عشه؛ لاحتضان بيضه، ثم أفراخه لملازمة الشيطان أهل العراق، واقترانه بهم كما جاء في كلام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقد قال صاحب لسان العرب:

« .. ويقال أفرخت البيضة إذا خلت من الفرخ، وأفرختها أمها، وفي حديث عمر يا أهل الشام تجهزوا لأهل العراق، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرخ، أى اتخذهم مقرا ومسكنا لايفارقهم كما يلازم الطائر موضع بيضه وأفراخه»[١].

ومن البدهي أن الشيطان لا يبيض، ولا يفرخ، وإنما يلازم، ويوسوس، ويسوّل.

ويفهم من كلام صاحب اللسان الذى نقله عن ابن الأثير[٢] - رحمهما الله - أن في كلام عمر - رضى الله عنه - استعارة تمثيلية استعيرت فيها صورة الطائر الذى يجثم في عشه فوق بيضه، لصورة الشيطان الذى يقترن بأهل العراق، ويلازمهم ملازمة الظل لصاحبه.

وقد أشار إلى هذه الاستعارة بكاف التشبيه في قوله (.. كما يلازم الطائر موضع بيضه..).

وصورة المستعار له، وهو الشيطان، وبيضه، وتفريخه صورة وهمية بمعنى أنه لا يرى بالعين، وإن كان وجوده حقيقة مقررة[٣].

ثالثتها - أن يصرح بالاستعارة والتشبيه معا، وهو يلقى الضوء على استعارة تمثيلية فقد قال: « ذر الشيء يذره أخذه بأطراف أصابعه ثم نثره على الشيء... والذّرّ مصدر ذررت وهو أخذك الشيء بأطراف أصابعك تذره ذر الملح المسحوق على الطعام، وذررت الحب والملح والدواء أذره ذرا فرقته»[٤].

---

(١) لسان العرب ٤ / ٣٣٧٢ (فرخ).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٤٢٥

(٣) ينظر البلاغة فنونها وأفنانها د / فضل حسن عباس ٢ / ٢٦ - ٢٧

(٤) لسان العرب ٣ / ١٤٩٤ (درر)

وهذا الذر والتفريق على سبيل الحقيقة، ويتابع صاحب اللسان كلامه قائلا: « .. وقد استعاره – أى الذر – بعض الشعراء للعرض تشبيها له بالجوهر فقال:

شققت القلب ثم ذررت فيه هــواك فليم فالتــأم الفطور

ليم هنا إما أن يكون مغيرًا من لئم، وإما أن يكون فُعل من اللّوْنِ لأن القلب إذا نهى، كان حقيقا أن ينهى »[1] .

وقد ذكر صاحب اللسان هذا البيت فى موضع آخر لإبانة معنى الفطور التى التأمت فى القلب فقال: « فطر الشىء يفطره فطرا فانفطر شقه، وتفطر الشىء تشقق... وأنشد ثعلب:

شققت القلب ثم ذررت فيه هــواك فليم فالتـأم الفطـور

وسيف فطار فيه صدرع وشقوق... »[2] .

الاستعارة – كما وضحها – فى قيام صاحبة هذا الشاعر بشق قلبه، ونثر حبها، وهواها فى أنحائه، وجنباته فبُلّ قلبه من سقمه، والتأم ما فيه من شقوق، وجروح، وقروح. فأصل هذه الاستعارة تشبيه صورة معقولة محسوسة، أو كما قال تشبيه العرض بالجوهر.

المستعار منه صورة نثر الشىء المحسوس كالملح وغيره، والمستعار له صورة ذرّ الهوى وتفريقه على قلب المحب المشقوق، وصورة المستعار له أعنى شق القلب، ونثر الهوى عليه صورة خيالية افتراضية، لا وجود لها فى عالم الواقع، يقصد منها الشاعر المبالغة فى حبه، وهواه. يؤكد ذلك قوله بعد هذا البيت:

تغلغل حب عثمة فى فؤادى فباديه مع الخـافى يســيرُ

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور[3]

رابعتها – أن يومىء إلى الاستعارة التمثيلية بأنها (مثل) كاستعارة صورة

---

(١) المصدر نفسه والموضع . (٢) المصدر نفسه ٥ / ٣٤٣٢ (فطر) .
(٣) زهر الآداب ١ / ٢١٢

من يعض على الشيء بنواجذه، وجميع فمه، لصورة المتمسك بالإسلام، الحريص على العيش في رحابه، فقد قال: «العض الشد بالأسنان على الشيء... وفي حديث العرباض وعضوا عليها بالنواجذ هذا مثل في شدة الاستمساك بأمر الدين؛ لأن العض بالنواجذ عض بجميع الفم، والأسنان وهي - أي النواجذ - أواخر الأسنان»(١) .

ظاهر من سياق الحديث أن فيه استعارة تمثيلية شبهت فيها صورة معقولة بصورة محسوسة، أو إن شئنا الدقة استعيرت فيها صورة محسوسة لصورة معقولة، وقد سماها صاحب اللسان (مثلا) اتباعا لابن الأثير(٢) الذي ينقل عنه، ويرتضي بيانه وآراءه. وهي حرية، وخليقة بهذه التسمية؛ لأن تلك الاستعارة إذا ذاعت، وشاعت، واشتهرت سميت مثلا(٣) .

وما قيل في هذا الحديث هو أحد قولين ذكرهما صاحب المجازات النبوية عندما قال: «... وقد يجوز أن يكون المراد الأمر بلزوم سنته - عليه الصلاة والسلام - كما أن العاض بنواجذه على الشيء الذي لا يتأتى فيه القطع يلزمه أشد اللزوم..»(٤) .

ومن هذا اللون ما ذكره من استعارة محاذاة القذة بالقذة وجعلها على قدرها عند قطعهما معا، لمتابعة أمة محمد ﷺ لبني إسرائيل، وحذوهم حذوهم، واقتفائهم آثارهم فقد قال: «القذاذات ما سقط من قذ الريش ونحوه وفي الحديث أنه ﷺ قال أنتم يعني أمته أشبه الأمم ببني إسرائيل تتبعون آثارهم حذو القذة بالقذة يعني كما تقدر كل واحدة على قدر صاحبتها وتقطع، وفي حديث آخر لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة قال ابن الأثير يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان...»(٥).

---

(١) لسان العرب ٤ / ٢٩٨٦ (عضض) .
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٢٥٢ .
(٣) ينظر - مثلا - الإيضاح / ١٥١ مع (البغية) . (٤) المجازات النبوية / ١٢٥ .
(٥) لسان العرب ٥ / ٣٥٥٨ (قذذ) .والنهاية في غريب الحديث والأثر ٤ / ٢٨ .

ففى الحديث استعارة تمثيلية استعيرت فيها صورة ضم الريش بعضه إلى بعض عندما يراد قطعه، لصورة اتباع أمة محمد ﷺ لبنى إسرائيل شبرا بشبر، وذراعا بذراع، وقد عبر عنها بالمثل كما قال (... يضرب مثلا للشيئين يستويان ...) وهى جديرة بإطلاق المثل عليها. كما سبق بيانه.

خامستها – ألا يصرح بها، أو يشير إليها بشىء ما، ولكنها تفهم من خلال تناوله لها، وعرضه إياها وذلك مثل استعارة صورة من يفتل للبعير فى غاربه وذروته حتى يستأنس بعد إباء ويسكن بعد جماح، لصورة من يخادع إنسانا آخر، ويتلطف به ويلاينه حتى يقنعه بما يريد فقد قال: «الغارب الكاهل من الخف – أى من الإبل – وهو ما بين السنام والعنق، ومنه قولهم حبلك على غاربك، وكانت العرب إذا طلق أحدهم امرأته، قال لها حبلك على غاربك أى خليت سبيلك فاذهبى حيث شئت... وفى حديث الزبير فما زال يفتل فى الذروة والغارب حتى أجابته عائشة إلى الخروج – يقصد الخروج إلى حرب على ابن أبى طالب فى موقعة الجمل – أراد أنه مازال يخادعها ويتلطف حتى أجابته، والأصل فيه أن الرجل إذا أراد أن يؤنس البعير الصعب ليزمه وينقاد له جعل يمر يده عليه ويمسح غاربه، ويفتل وبره حتى يستأنس، ويضع فيه الزمام»[1].

وقد تناول الشيخ عبد القاهر الجرجانى هذه الاستعارة بأسلوبه الخلاب، وبيانه الساحر فقال: «... وتقول للرجل يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه إلى الشيء قد كان يأباه ويمتنع منه ما زال يفتل فى الذروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد، فتجعله بظاهر اللفظ كأنه كان منه فتل فى ذروة وغارب، والمعنى على أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقا يشبه حاله فيه حال الرجل يجيء إلى البعير الصعب فيحكه، ويفتل الشعر فى ذروته وغاربه حتى يسكن، ويستأنس...»[2].

* * *

---

(١) لسان العرب ٥/ ٣٢٢٩ (غرُب). والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٥٠.

(٢) دلائل الإعجاز/ ٦٨ – ٦٩

الفصل الثانى

الاستعارة المكنية

حول مواقع الاستعارة التخييلية من الإعراب

الاستعارة المكنية

الاستعارة المكنية هى ما كان المستعار منه محذوفا قد رمز إليه بشىء من لوازمه[1] وهى قسيمة الاستعارة التصريحية التى صرح فيها بالمستعار منه.

وقد أبان الشيخ عبد القاهر الجرجانى مضمونها، وهو بصدد التفريق بين هاتين الاستعارتين فقال: « ... وضرب آخر من الاستعارة وهو ما كان نحو قوله...... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها.

هذا الضرب – يقصد المكنية – وإن كان الناس يضمونه إلى الأول – يريد التصريحية – حيث يذكرون الاستعارة فليسا سواء، وذاك أنك فى الأول تجعل الشىء الشىء ليس به، وفى الثانى للشىء الشىء ليس له، تفسير هذا أنك إذا قلت رأيت أسدا فقد ادعيت فى إنسان أنه أسد، وجعلته إياه، ولا يكون الإنسان أسدا، وإذا قلت: إذ أصبحت بيد الشمال زمامها.

فقد ادعيت أن للشمال يدا، ومعلوم أنه لا يكون للريح يد »[2] .

وقد أفاض الشيخ عبد القاهر فى بيان الفرق بينهما فى مواضع من كتابيه أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، وبيان منزلة كل منهما، وليس من غرض هذا العمل الوقوف طويلا عند هذه التفصيلات، ولكننى أريد أن أعرض على عجل لنكتة مهمة ذكرها ضمن كلامه، وأكد عليها، مؤداها أن المكنية أبلغ فى توكيد المعنى، وأرسخ قدما فى إثباته من التصريحية، فقد قال: وليس هذا الضرب من الاستعارة بدون الضرب الأول فى إيجاب وصف الفصاحة للكلام، بل هو أقوى منه فى اقتضائها، والمحاسن التى تظهر به، والصور التى تحدث للمعانى بسببه آنق وأعجب... »[3] .

وقد ساق عدة شواهد أوضح فيها سر هذه الأبلغية، وسبب تلك المحاسن

---

(١) هذا رأى جمهور البلاغيين، وعليه سيكون تناول هذه الاستعارة -إن شاء الله تعالى- .

(٢) دلائل الإعجاز/٦٧ . (٣) المصدر نفسه/ ٤٦١ .

التي تجليها هذه الاستعارة منها قوله: « ... ومن اللطيف النادر في ذلك ما تراه في آخر هذه الأبيات وهي للحكم بن قنبر:

ولولا اعتصامي بالمنى كلما بدا
لي اليأس منها لم يقم بالهوى صبري
ولولا انتظاري كل يوم جدا غد
لراح بنعشي الدافنون إلى قبري
وقد رابني وهن المنى وانقباضها
وبسط جديد اليأس كفيه في صدري

ليس المعنى على أنه استعار لفظ الكفين لشيء، ولكن على أنه أراد أن يصف اليأس بأنه قد غلب على نفسه، وتمكن في صدره، ولما أراد ذلك وصفه بما يصفون به الرجل بفضل القدرة على الشيء، وبأنه متمكن منه، وأنه يفعل فيه كل ما يريد، كقولهم قد بسط يديه في المال ينفقه، ويصنع فيه ما يشاء، وقد بسط العامل يده في الناحية، وفي ظلم الناس، فليس لك إلا أن تقول إنه لما أراد ذلك، جعل لليأس كفين، واستعارهما له ... »[1] .

فهذا الشاعر قد استولى عليه اليأس، وملأ صدره، وقلبه، فوصفه بأوصاف الرجل القادر، المتمكن من عمله، المسيطر عليه، ولما وصفه بذلك جعل له كفين أسوة بهذا الرجل، واستعارهما له كما قال الشيخ - رحمه الله - وحسبنا هذه الإلمامة حول هذه الاستعارة، ومنزلتها.

وقد تناول صاحب لسان العرب الاستعارة المكنية على عدة صور:

إحداها - أن يصرح بلفظ الاستعارة، أو ما اشتق منه، فمن ذلك ما ذكره من استعارة الكلكل لليل، فقد قال: « الكلكل من الفرس ما بين مخرمه إلى ما مسّ الأرض منه إذا ربض، وقد يستعار الكلكل لما ليس بجسم كقول امرىء القيس:

---

(١) نفسه/ ٤٦٢

فقلت له لما تمطى بجوزه وأردف أعجازا وناء بكلكل[1]

وقالت أعرابية ترثى ابنها:

ألقى عليه الدهر كلكله من ذا يقوم بكلكل الدهر

فجعلت للدهر كلكلا»[2] .

فاستعمال الكلكل فى الفرس حقيقة – كما أشار وألمح – ولكن إسناده للأشياء المعقولة، أو على حد تعبيره – لما ليس بجسم – استعارة، وهى فى إضافة (جوز) إلىٰ ضمير الليل، وكذلك فى إضافة الكلكل إلى ضمير الدهر فى قول الأعرابية، فيكون كل من امرىء القيس، والأعرابية قد استعار الكلكل لليل، والدهر، فشبه الليل، أو الدهر بالفرس، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه، وهو الكلكل، وذلك على مذهب السلف أو جمهور البلاغيين.

ومثل هاتين الاستعارتين الاستعارة فى قول الآخر:

إذا ما الدهر جرّ على أناس كلاكله أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وقد أعجب الشيخ عبد القاهر الجرجانى – رحمه الله – ببيت امرىء القيس؛ لأنه جمع فيه عدة استعارات يتبع بعضها بعضا، ويأخذ بعضها بحجز بعض فقال: «ومما هو أصل فى شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات قصدا إلى أن يلحق الشكل بالشكل، وأن يتم المعنى والشبه فيما يريد، مثاله قول امرىء القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

لما جعل الليل صلبا قد تمطى به، ثنى ذلك فجعل له أعجازا قد أردف بها

---

(١) الكلكل – الصدر، وناء بحمله نوءا – نهض به مثقلا (المعجم الوجيز).

وقد ذكر صاحب اللسان البيت برواية (بجوزه) والمشهور (بصلبه) والجوز من كل شىء وسطه (المعجم الوجيز).

وقد أشار التبريزى إلى رواية (بجوزه) فى الهامش، فذكر انه روى عن الأصمعى (لما تمطى بجوزه) ومعناه لما تمدد بوسطه.

شرح القصائد العشر/ ٣٥ ط – دار الجيل – بيروت .

(٢) لسان العرب ٥/ ٣٩٢١ (كلل) .

الصلب، وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به، فاستوفى له جملة أركان الشخص، وراعى ما يراه الناظر من سواده، إذا نظر قدامه، وإذا نظر إلى خلفه، وإذا رفع البصر ومده فى عرض الجو»[1] .

ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة العرنين، وهو الأنف للدهر فقد قال : «الجدع القطع، وحمار مجدع مقطوع الأذن... واستعار بعض الشعراء الجدع والعرنين للدهر فقال : وأصبح الدهر ذو العرنين قد جدعا»[2] .

فنجد الشاعر قد أثبت للدهر عرنينا، ولا عرنين له على الحقيقة، فيكون قد شبه الدهر بما له عرنين، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالعرنين، وإثبات العرنين للدهر قرينة هذه الاستعارة، وهى ما يسميه البلاغيون استعارة تخييلية . وقد وقع لازم المشبه به هنا صفة للمستعار له، ولا يخفى أن هذا اللازم هو (ذو العرنين) أما قوله : (قد جدعا) فيبدو أنه ترشيح للاستعارة؛ لأنه جاء بعد تمامها واستيفاء قرينتها، وهو من ملائمات المستعار منه أعنى صاحب العرنين، وهو جملة فعلية .

وإن كان صاحب اللسان قد ذكر فى كلامه المتقدم أن العرنين والجدع معا مستعاران للدهر، لكنه قد أورد هذا الشاهد فى موضع آخر، وصرح بأن العرنين مستعار للدهر، وأغفل قوله (قد جدعا) فقال : «وعرنين كل شيء أوله، وعرنين الأنف تحت مجتمع الحاجبين وهو أول الأنف حيث يكون الشمم، يقال هم شم العرنين، والعرنين الأنف كله... وفى قصيدة كعب - يقصد كعب بن زهير رضى الله عنه - شم العرانين أبطال لبوسهم[3] .

واستعاره بعض الشعراء للدهر فقال : وأصبح الدهر ذو العرنين قد جدعا»[4] وقد عبر عن الاستعارة المكنية فى الموضعين بالفعل الماضى (استعار) .

ومن ذلك الضرب ما ذكره من استعارة العض للدهر، والزمن، والحرب،

---

(١) دلائل الإعجاز / ٧٩   (٢) لسان العرب ١ / ٥٦٧ (جدع) .
(٣) فى قصيدته المشهورة (بانت سعاد) .
(٤) لسان العرب ٤ / ٢٩١٦ - ٢٩١٧ (عرن) .

والقتب[1] فقد قال: «العض الشد بالأسنان على الشيء، وفرس عضوض أى يعض، وكلب عضوض، وناقة عضوض بغير هاء..»[2].

فالعض من هذه الأشياء عض حقيقى بالأسنان لا مجاز فيه، وقد أردف صاحب اللسان كلامه المتقدم باستعمالات للعض جاءت على سبيل الاستعارة فقال: «وزمن عضوض أى كلب، قال ابن برى عضه القتب، وعضه الدهر، والحرب، وهى عضوض، وهو مستعار من عض الناب قال المخبل السعدى:

لعمر أبيك لا ألقى ابن عم　　على الحدثان خيرا من بغيض

غداة جنى على بنىّ حربا　　وكيف يداى بالزمن العضوض

وأنشد ابن برى لعبد الله بن الحجاج:

وإنى ذو غنى وكريم قوم　　وفى الأكفاء ذو وجه عريض

غلبت بنى أبى العاصى سماحا　　وفى الحرب المنكرة العضوض

وملك عضوض شديد فيه عسف وظلم وعنف»[3].

واضح من كلامه أن العض مستعار من عض الأسنان للدهر، والحرب، والزمن، والقتب، والملك، فتكون هذه الأشياء قد شبهت بالحيوانات التى تعض بالأسنان، والأنياب، وحذف المشبه به ورمز إليه بالعض، وإثبات العض لهذه الأشياء استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية – كما هو واضح – وفى هذا تصوير وتشخيص لهذه الأشياء بأنها مؤذية غشوم، تؤلم الناس وترهقهم. وقد عبر عن هذه الاستعارت باسم المفعول (مستعار) فى قوله: (وهو مستعار من عض الناب).

وقد أضاف الزمخشرى استعارات أخرى للعض فقال: «ومن المستعار وعضه الأمر اشتد عليه... وعضه بلسانه تناوله...وبئر عضوض بعيدة القعر، كأنها تعض الماتح بما تشق عليه»[4].

---

(١) القتب – الرحل الصغير على قدر السنام. المعجم الوجيز.

(٢) لسان العرب ٤/ ٢٩٨٦ (عضض).　　(٣) المصدر نفسه ٤/ ٢٩٨٨ (عضض).

(٤) أساس البلاغة (عضض).

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة الخد لليل فقد قال: «الخد فى الوجه والخدان جانبا الوجه وهما ما جاوز مؤخر العين إلى منتهى الشدق... ومنه اشتق اسم المخدة بالكسر وهى المصدغة، لأن الخد يوضع عليها... والجمع خدود... واستعار بعض الشعراء الخد لليل فقال:

بنات وطاء على خد الليل لأمٍّ من لم يتخذهن الويل

يعنى أنهن يذللن الليل ويملكنه ويتحكمن عليه حتى كأنهن يصرعنه فيذللن خده ويفللن حده»[1] .

من المعلوم أن الليل ليس له خد على سبيل الحقيقة، وقد استعار الشاعر له خدا، وأثبته له، وإثبات الخد له استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية، فقد شبه الليل بإنسان – مثلا – وحذف المشبه به، ورمز إليه بالخد، ولازم المشبه به فيها مضاف وهو (خد) والمشبه مضاف إليه (الليل).

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة (الاست) لليوم الشديد الأيوم فقد قال: «السَّتْهُ، والسَّتَهُ، والاست معروفة... وقد يستعار ذلك للدهر، وقوله أنشده ثعلب:

إذا كشف اليوم العماس[2] عن استه

فلا يرتدى مثلى ولا يتعمم»[3]

واضح أنه يقصد من الدهر اليوم – كما جاء فى البيت – وهو من أجزاء الدهر، فالشاعر قد استعار الاست لليوم، ولا است له على الحقيقة، فيكون قد شبه اليوم بشخص، أو شيء يكشف عن استه أى أنه يوم ثقيل شديد، فصوره بمن تجرد من ملابسه استعدادا للنزال والمقارعة، فهو كالداهية الملساء المرمريس التى لا متعلق منها، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الاست،

---

(١) لسان العرب ٢/١١٠٨ (خدد).

(٢) اليوم العماس الشديد أو المظلم – لسان العرب (عمى).

(٣) لسان العرب ٣/١٩٣٦ (سته).

والشاعر يقابل هذا اليوم بما يليق به، فلا يرتدى شيئا، ولا يلبس ما يحمى رأسه من العمامة ونحوها.

وقد عبر صاحب اللسان عن هذه الاستعارة بالفعل المضارع المبنى للمجهول (يستعار).

ومن هذا اللون ما ذكره من استعارة (الْبَرْك) أى الصدر للشتاء، وهى شبيهة باستعارة الكلكل لليل، والدهر فقد قال: «وصلب العظام يصلبها صلبا، واصطلبها جمعها، وطبخها واستخرج ودكها ليؤتدم به، وهو الاصطلاب، وكذلك إذا شوى اللحم فأساله قال الكميت الأسدى:

واحتل برك الشـــتاء منزله وبات شيخ العيال يصطلب

احتل بمعنى حل، والبرك الصدر، واستعاره للشتاء أى حل صدر الشتاء ومعظمه فى منزله يصف شدة الزمان وجدبه؛ لأن غالب الجدب إنما يكون من الشتاء»[1].

فقد استعار الشاعر الصدر للشتاء فى قوله (برك الشتاء) أى صدره، والشتاء لا صدر له، فقد شبه الشتاء بالجمل - مثلا - وحذف المشبه به، ورمز إليه بالصدر، كأنه جثم عليه، وكده بالجدب، والجدع، وإضافة البرك للشتاء قرينة الاستعارة، وقد وقع اللازم فى البيت مضافا للمستعار له وهو الشتاء (المشبه) وفى هذا الشاهد تصوير لحياة بعض العرب، وأنهم كانوا يعيشون فى فقر مدقع، وضنك، وضيق، حتى يضطر هذا البعض لجمع العظام، وطبخها ليستخرج ما فيها من إدام ليؤتدم به.

وقد وقفت أمام قول صاحب اللسان: (.. لأن غالب الجدب إنما يكون من الشتاء) حائرا؛ لأن فيه نوع خفاء أو هكذا ظهر لى، فالشتاء زمن الخصب والنماء اللهم إلا أن يقصد أنه شتاء لا غيث فيه، أو أنه شتاء مدمر هلك فيه الزرع والضرع، ومنع الناس من السعى فى مناكب الأرض يبتغون من فضل الله.

(١) لسان العرب ٤/ ٢٤٧٧ (صلب).

ومن هذا القبيل ما ذكره من استعارة الظماء جمع ظمآن أى العطاش، للنوازع، وهى الحنين والاشتياق إلى الأهل[1] فقد قال: «الظمأ العطش، وقيل هو أخفه وأيسره... وهو ظمىء وظمآن، والأنثى ظمأى، وقوم ظماء أى عطاش قال الكميت:

إليكم ذوى آل النبى تطلعت

نوازع من قلبى ظماء وألبب

استعار الظماء للنوازع، وإن لم تكن أشخاصا»[2] .

فالنوازع، وهى الحنين، والاشتياق معنى من المعانى لا تظمأ ولا تعطش، وقد استعار الشاعر لها الظمأ، وإن لم تكن أشخاصا يتأتى منها الظمأ على سبيل الحقيقة، ويقال فى إجراء هذه الاستعارة شبه الشاعر نوازع قلبه وهى حنينه وأشواقه إلى آل النبى ﷺ بقوم ظماء، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الظمأ، واللازم فى هذه الاستعارة صفة لنوازع كما هو واضح . والألبب الألباب والعقول جمع لب مثل الألباب[3] .

ويبدو أن قوله (تطلعت) ترشيح للاستعارة؛ لأنه زائد على القرينة، وهو يلائم القوم الظماء – أى المشبه به المحذوف – وكلمة (ألبب) معطوفة على نوازع فهى ظماء أيضا. فكأنه قال نوازع ظماء، وألبب ظماء، فيكون فى البيت استعارتان

ومن هذا القبيل ما ذكره من استعارة الزكاء والنمو للعلم فقد قال: «الزكاء ممدود النماء والريع زكا يزكو زكاء وزكوا، وفى حديث على – كرم الله وجهه – المال تنقصه النفقه ، والعلم يزكو على الإنفاق ، فاستعار له الزكاء وإن لم يك ذا جرم»[4] .

---

(١) ينظر المعجم الوجيز (نزع) . (٢) لسان العرب ٤ / ٢٧٦٠ (ظمأ) .

(٣) جاء فى لسان العرب: واللب العقل، والجمع ألباب وألبب ٥ / ٣٩٧٩ (لبب) .

(٤) لسان العرب ٣ / ١٨٤٩ (زكا)

فالزكاء وهو النماء لا يوجد فى العلم على سبيل الحقيقة بل هو مستعار من الأشياء التى لها أجرام كالنبات - مثلا - وإثبات الزكاء للعلم قرينة هذه الاستعارة المكنية، وذلك الإثبات استعارة تخييلية، ويمكن أن يقال فى إجرائها شبه العلم بشىء نام، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو النماء، فاستعار المحسوس للمعقول، ولازم المشبه به فى هذه الاستعارة جملة فعلية وقعت خبرا. وقد عبر عن المكنية هنا بالفعل الماضى (استعار).

ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة السقى للموت فقد قال: «وشفَّ الماءَ يشُفُّهُ شفًّا، واشتفه، واستشفه... كل ذلك تقصى شربه قال بعض العرب لابنه فى وصاته أقبح طاعم المقتف، وأقبح شارب المشتف»[1].

فاشتفاف الماء حقيقة لغوية، وقد أتبع صاحب اللسان ذلك بذكر استعارة الاشتفاف للموت فقال:

«واستعاره - أى الاشتفاف - عبد الله بن سبره الجرشى فى الموت فقال:

ساقيته الموت حتى اشتف آخره

فما استكان لما لاقى ولا ضرعا

أى حتى شرب آخر الموت، وإذا شرب آخره فقد شربه كله»[2] أى إنه سقاه الموت حتى الثمالة، فقد استعار الشاعر الاشتفاف للموت، فيكون قد شبه الموت بشىء مشروب، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالاشتفاف، واللازم هنا جملة (اشتف آخره).

ويتراءى لى أن الموت في البيت مستعار للذل، والعذاب وليس المراد به الموت الحقيقى بقرينة لفظية هى قوله: (فما استكان لما لاقى ولا ضرعا) والذى مات لا يتأتى منه استكانة ولا تضرع.

ويبدو أن هذا الشاعر قد تأثر قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا**

---

(١) لسان العرب ٤ / ٢٢٩٠ (شفف).　　(٢) المصدر نفسه والموضع.

استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾[المؤمنون: ٧٦] فإن صح ما فهمته حول هذه الاستعارة، يكون المشبه فى المكنية قد وقع استعارة وليس أمرا حقيقيا.

ومن هذا النمط ما ذكره من استعارة الجبهة للقمر فقد قال: «الجبهة للإنسان وغيره، والجبهة موضع السجود... واستعار بعض الأغفال[١] الجبهة للقمر فقال أنشده الأصمعى:

من لدُ ما ظهر إلى سحير   حتى بدت لى جبهة القمير»[٢]

أى أن استعمال الجبهة فى الإنسان وغيره حقيقة أما إثبات الجبهة للقمر، فهو استعارة مكنية، فقد شبه الشاعر القمر أو القمير بمن له جبهة كالإنسان – مثلا – وحذف المشبه به، ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الجبهة.

وإثبات الجبهة للقمير استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية. واللازم فى هذه الاستعارة مضاف للمشبه، وهو جبهة، وهذه الاستعارة مطلقة.

ومن هذا الضرب ما ذكره من استعارة الأثناء، وهى ما تثنى من الحية ونحوها، لليل فقد قال: «ثَنَى الشىءَ ثَنْياً رد بعضه على بعض، وقد تثنى وانثنى وأثناؤه ومثانيه قواه وطاقاته وثِنْىُ الحية انثناؤها – يقصد مصدر الفعل انثنى – وهو أيضا ما تعوج منها إذا تثنت، والجمع أثناء واستعاره غيلان الرَّبَعِىّ لليل فقال:

حتى إذا شق بهيم الظلماء   وساق ليلا مرجحن الأثناء

وهو على القول الآخر اسم»[٣].

يقول إن (ثِنْى) الحية فى كلامه المتقدم له معنيان: **أحدهما** – أنه مصدر أى انثناؤها. **والثانى** – ما تثنى منها، وتعوج إذا تثنت وهو اسم، واستعارته لليل إنما هى على المعنى الثانى.

---

(١) يقال شاعر غُفل أى غير مسمى، ولا معروف، والجمع أغفال، لسان العرب ٥ / ٣٢٧٨ (غفل).

(٢) لسان العرب ١ / ٥٤٠ (جبه).   (٣) لسان العرب ١ / ٥١١ (ثنى).

الاستعارة المكنية فى قول الشاعر: (ليلا مرجحن الأثناء) ومعنى (ليل مرجحن) أى ثقيل واسع، ويقال فلان فى دنيا مرجحنة أى واسعة كثيرة[١] فالليل كما صوره الشاعر حالك الظلام طويل ثقيل على نفسه.

فكثرة التثنى فى الحية ونحوها حقيقة، أما كثرة التثنى فى الليل، فهى استعارة مكنية، فيكون الشاعر قد شبه الليل الطويل بالحية الطويلة كثيرة الالتواءات، والتعاريج إذا تثنت، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو (مرجحن الأثناء) واللازم فيها وقع صفة لليل، فهو ليل طويل متثن.

ومن ذلك النوع ما ذكره من استعارة الْعَيَفَان، وهو كراهية الطعام، أو الشراب للكلاب فقد قال: «عاف الشىء يعافه عيفا وعيافة وعيافا وعيفانا كرهه طعاما كان أو شرابا... واستعاره النجاشى للكلاب فقال يهجو ابن مقبل:

تعاف الكلاب الضاريات[٢] لحومهم

وتأكل من كعب بن عوف ونهشل»[٣]

يبدو من كلام صاحب اللسان أن العياف فى جانب الناس حقيقة لغوية على حد قول بعضهم:

وإنى لشراب المياه إذا صفت

وإنى إذا كدرتها لعيوف[٤]

أما إسنادها للكلاب، فهو استعارة - كما ذكر صاحب اللسان - فيكون الشاعر قد شبه الكلاب بمن يعاف، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بالفعل (تعاف)، وبناء على ذلك يكون اللازم فى تلك الاستعارة هو الفعل (تعاف).

فالشاعر يذم ابن مقبل، وقومه بأنهم لا طعم لهم حتى إن الكلاب لو عرض عليها أكل لحومهم، لتقززت منها وعافتها، وكفى بذلك ذما.

---

(١) المصدر نفسه ٣/١٥٨٧ (رجح).
(٢) الضارى من الجوارح والكلاب المدرب (المعجم الوجيز).
(٣) لسان العرب ٤/٣١٩٢ (عيف).
(٤) أساس البلاغة (عيف).

ومن هذا اللون ما ذكره من استعارة الدفيف، وهو السير الهادى (للدَّبَرَان) وهو نجم فقد قال: « والدفيف العَدْوُ الصحاح الدفيف الدبيب وهو السير اللين واستعاره ذو الرمة فى الدبران فقال يصف الثريا:

يـدف عـلـى آثـارهـا دبرانهـــا فلا هو مسبوق ولا هو يلحق »[1]

فالدفيف لمن يسير على رجليه، أو أرجله حقيقة لغوية - كما هو واضح من كلامه المتقدم، ولكنه فى جانب النجم المسمى (دبرانا) فى البيت استعارة مكنية، ويمكن إجراؤها بأن يقال شبه الشاعر الدبران بمن يسير سيرا هادئا، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الدفيف، واللازم فى البيت فعل مضارع هو (يدف) والمشبه فاعل، وهو دبرانها، والقرينة هى إثبات (يدف) للدبران، وهى استعارة تخييلية .

وقد ألقى صاحب اللسان الضوء على (الدبران) فى موضع آخر فقال: « الدبران نجم بين الثريا والجوزاء، ويقال له التابع والتوبيع ، وهو من منازل القمر سمى دبرانا لأنه يدبر الثريا أى يتبعها »[2] .

ويبدو أن قول الشاعر فى الشطر الثانى: (فلا هو مسبوق، ولا هو يلحق) ترشيح للاستعارة، لأن السبق واللحوق من صفات المتسابقين، فهو من ملائمات المشبه به .

ومن هذا لقبيل ما ذكره من استعارة الأشطان وهى الحبال الطويلة التى يستقى بها من البئر .[3] للحياة فقد قال: « الشَّطَنُ الحبل... والجمع أشطان قال عنترة:

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم

وفى حديث علىّ عليه السلام وذكر الحياة فقال إن الله جعل الموت خالجا

---

(١) لسان العرب ٢ / ١٣٩٥ (دفف) .
(٢) المصدر نفسه ٢ / ١٣٢٠ (دبر) .
(٣) ينظر المعجم الوجيز (شطن) .

لأشطانها . . . والخالج المسرع فى الأخذ فاستعار الأشطان للحياة لامتدادها وطولها »[١] .

الاستعارة المكنية فى قوله – رضى الله عنه – (خالجا لأشطانها) لأنه أثبت للحياة أشطانا، ولا أشطان لها على الحقيقة، وهذا الإثبات استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية، فقد شبه الحياة – أى الضمير العائد إليها – بالبئر العميقة، وحذف البئر، ورمز إليها بالأشطان .

ومن هذه الطريقة ما ذكره من استعارة الصمم، للحلم، فقد قال : « الصمم انسداد الأذن وثقل السمع . . . وقوله أنشده ثعلب :

قل ما بدا لك من زور ومن كذب

حلمى أصم وأذنى غير صماء

استعار الصمم للحلم، وليس بحقيقة »[٢] .

الصمم فى حقيقته ثقل السمع، وانسداد الأذن – كما قال – هذا فى الذى يسمع، والحلم معنى من المعانى لا يتأتى منه السمع، أو يلحقه الصمم، وقد أثبت الشاعر الصمم للحلم على سبيل الاستعارة المكنية، فشبه الحلم بإنسان – مثلا – وحذف المشبه به، ورمز إليه بالصمم . يصف نفسه بالحلم الشديد، وتحمل هذا الكذاب، وإهمال شأنه .

ولازم المشبه فى هذه الاستعارة وقع وصفا فى المعنى؛ لأنه خبر (حلمى أصم) وقد عبر عنها صاحب اللسان بالماضى (استعار) وأكد كونها استعارة بقوله (وليس بحقيقة) .

ومن هذا النحو ما ذكره من استعارة (الشوى) أى الجلد، للرسائل، فقد قال : « . . . وفى الحديث لا تنقض الحائض شعرها إذا أصاب الماء شوى رأسها أى جلده، والشواة جلدة الرأس، وقول أبى ذؤيب :

---

(١) لسان العرب ٤ / ٢٢٦٤ – ٢٢٦٥ (شطن) ، والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ / ٤٧٥ .

(٢) لسان العرب ٤ / ٢٥٠٠ – ٢٥٠١ (صمم) .

على إثر أخرى قبلها قد أتت لها

إليـك فجاءت مقشـعرا شـواتها

آراد المألك[1] التى هى الرسائل، فاستعار لها الشواة، ولا شواة لها فى الحقيقة، وإنما الشوى للحيوان»[2] .

فالشواة فى الحقيقة جلدة الرأس، رأس الإنسان، أو الحيوان وقد أثبت الشاعر الشواة للرسالة، ولا شواة لها فى الحقيقة - كما ذكر - فيكون الشاعر قد شبه الرسالة التى جاءت فى إثر أخرى أى الضمير العائد إليها فى (شواتها) بالحيوان، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالشواة.

واللازم فى هذه الاستعارة مضاف، والمشبه مضاف إليه - كما هو ظاهر - وإثبات الشواة للرسالة قرينة هذه الاستعارة وهى استعارة تخييلية، ويبدو أن قوله (مقشعرا) ترشيح لأنه زائد على قرينة الاستعارة، وملائم للمشبه به الحيوان.

(يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل فى شدة الخوف)[3]
وكأن الشاعر يصف من جاءت إليه الرسائل بالقوة، وعزة السلطان حتى إن الرسائل وهى جمادات تخاف منه، وترتعد فرائصها من لقائه، وقد عبر عن هذه الاستعارة بالماضى (استعار) وأكد أمرها بقوله: (ولا شواة لها فى الحقيقة).

ومن هذا النمط ما ذكره من استعارة الطموّ أو الطمىّ، للسّفاه فقد قال: «طما الماء يطموا طموا، ويطمى طميا ارتفع وعلا، وملأ النهر فهو طام، وكذلك إذا امتلأ البحر، أو النهر، أو البئر، . . . وطما النبت طال، وعلا، ومنه يقال طمت المرأة بزوجها أى ارتفعت به، وطمت به همته علت، وقد يستعار فيما سوى ذلك أنشد ثعلب :

لهـا منطق لا هذريان طمى بـه سفاه ولا بادى الجفاء جشيب

---

(١) المألُكة، والمألَكة، والمألَك - الرسالة - المعجم الوجيز (ألك) .
(٢) لسان العرب ٤ /٢٣٦٨ (شوا) . والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ / ٥١٢
(٣) الكشاف ٣ /٣٤٥

أى أنه لم يعل به كما يعلو الماء بالزبد فيقذفه »[١] .

يصف الشاعر هذه المرأة بأن لها منطقا هادئا جميلا، ليس خشنا، ولا زائدا عن الحاجة؛ لأنها امرأة عاقلة رزينة، وليس بها شيء من السفاهة التى ترفع أصوات السفهاء، وهذريان مثل مهذار، ومهذارة[٢] وجشيب خشن فيه غلظة[٣] .

فقد أشار صاحب اللسان فى عجز كلامه المتقدم إلى أن منطقها لم يرفعه السفاه، كما يرفع الماء الزبد، فمضمون كلام الشاعر أنه شبه السفاه أى السفاهة بالماء، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالفعل (طما)، وإثبات الطمو للمنطق - المعبر عنه بالضمير به - استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية، ولازم المشبه به هنا فعل وهو طما، والمشبه فاعل، وهو السفاه.

ومن هذا القبيل ما ذكره من استعارة عدم النكش أى النزف، للشجاعة فقد قال: « .. وبحر لا ينكش لا ينزف، وكذلك البئر، ونكشت البئر أنكشها بالكسر نزفتها »[٤] .

واضح أن النكش فى هذه الأشياء التى ذكرها حقيقة لغوية، ولكنه أضاف أنه يأتى فى أشياء أخرى على سبيل الاستعارة فقال: « .. ومنه قولهم فلان بحر لا ينكش، وعنده شجاعة ما تنكش وقال رجل من قريش فى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - عنده شجاعة ما تنكش فاستعاره فى الشجاعة أى ما تستخرج ولا تنزف؛ لأنها بعيدة الغاية »[٥] .

يريد هذا الرجل القرشى أن يقول إن شجاعة على - رضى الله عنه - لا تنفد ولا تغيض، فاستعار عدم النكش لشجاعته، وأثبته لها، فيكون قد شبه الشجاعة بالبحر، أو البئر - مثلا - وحذف المشبه به، ورمز إليه بعدم النكش

---

(١) لسان العرب ٤ / ٢٧٠٧ (طما) . (٢) ينظر أساس البلاغة (هذر) .
(٣) ينظر لسان العرب ١ / ٦٢٦ (جشب) . (٤) لسان العرب ٦ / ٤٥٤١ (نكش) .
(٥) المصدر نفسه والموضع . والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٥ / ١١٦

والنفاد، فالمستعار له الشجاعة والمستعار منه الماء، وإثبات عدم النكش للشجاعة استعارة تخييلية، واللازم أى لازم المشبه به جملة (ما ينكش) وهى صفة (لشجاعة).

ويبدو أنها مطلقة لأنه لم يذكر بعد قرينتها شيء يلائم المشبه به، أو المشبه.

ومن ذلك النوع ما ذكره من استعارة (اللغوب) وهو الإعياء والنصب، للريح فقد قال: «اللغوب التعب والإعياء، وألغبته أنا أنصبته، وفى التنزيل العزيز ﴿وما مسنا من لغوب﴾ [ق: ٣٨] ومنه قيل فلان ساغب لاغب أى مُعْيٍ، واستعار بعض العرب ذلك للريح فقال أنشده ابن الأعرابى:

وبلدة مجهل تمسى الرياح بها لواغبا   وهى ناء عرضها خاوية»[١]

فالتعب والإعياء حقيقة فى الذى يحس به من الأحياء، لكن إسناده لمن لا يتعب كالريح فى البيت السابق استعارة استعير فيها اللغوب للرياح، ولا لغوب يلحقها على الحقيقة، فيكون الشاعر قد شبه الرياح بمن يتعب، ويصيبه الإعياء والكلال، وحذف المشبه به، ورمز إليه باللغوب أعنى بقوله (لواغبا) ولازم المشبه به فيها وقع خبرا للفعل (تمسى) وهو وصف فى المعنى.

ونلحظ أن الاستعارة هنا جاءت فى الخبر.

ومن هذا القبيل ما ذكره من استعارة (الآمة) وهى الشجة التى فى الرأس، للحشا، فقد قال: «وأمه يؤمه أمًّا فهو مأموم وأميم أصاب أم رأسه... المحكم وشجة آمة ومأمومة بلغت أم الرأس، وقد يستعار ذلك فى غير الرأس قال:

قلبى من الزفرات صدعه الهوى   وحشاى من حر الفراق أميم»[٢]

فقد استعار الشاعر قوله: (أميم) من الرأس للحشا[٣] فيكون قد شبه جوفه وما فيه من أعضاء بالرأس الذى يشج، ويجرح جرحا بليغا، وحذف المشبه به، ورمز إليه بأميم وذلك من لوازم المشبه به.

---

(١) لسان العرب ٥ / ٤٠٤٦ (لغب).   (٢) لسان العرب ١ / ١٣٨ (أمم).

(٢) الحشا – ما دون الحجاب مما يلى البطن كله من الكبد والطحال، والكرش، وما يتبع ذلك. المعجم الوجيز (حشا).

ولازم المشبه به هنا خبر – أى وصف فى المعنى، يقول إن قلبه من الزفرات أى إخراج النفس الممدود الطويل قد شقه الهوى والحب، وكسره، وباطنه مجروح مقروح، قد بلغت جراحاته المدى.

ومن هذا اللون ما ذكره من استعارة الأفنان وهى الأغصان، للظلام فقد قال: «والفنن الغصن المستقيم طولا وعرضا... والفنن ما تشعب منه، والجمع أفنان ثم الأفانين.......

وأما قول الشاعر:

منا أن ذر قرن الشمس حتى أغاث شريدهم فنن الظلام

فإنه استعار للظلمة أفنانا، لأنها تستر الناس بأستارها، وأرواقها، كما تستر الغصون بأفنانها وأوراقها»[1].

فالأفنان والأغصان فى الحقيقة للشجر، وقد استعارها الشاعر فى البيت للظلام، فيكون قد شبه الظلام بالشجرة، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالأغصان، وإثبات الفنن أو الأفنان استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية.

ولازم المستعار له وقع مضافا، والمستعار، أو المشبه مضاف إليه فى قوله (فنن الظلام).

ولعل صاحب اللسان قد بين فى كلامه المتقدم (الفنن) وهو مفرد بالجمع (الأفنان والغصون) لأن المفرد المضاف يعم – كما يقولون – .

ومن هذا النوع ما ذكره من استعارة الصياح للنهار فى قول الفرزدق:

والشيب ينهض فى السواد كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار[2]

فقد حكى أنه «... لما قال ليل يصيح بجانبيه، استعار للنهار الصياح؛

---

(1) لسان العرب ٥/٣٤٧٦ (فنن).

(2) هذه رواية لسان العرب (ينهض فى السواد) والمشهور (ينهض فى الشباب) ينظر أسرار البلاغة/١٩٨

وقد ذكره الشيخ محمود شاكر فى هامش الصفحة نفسها برواية (فى الشباب).

لأن النهار لما كان آخذا في الإقبال، والإقدام، والليل آخذ في الإدبار، صار النهار كأنه هازم، والليل مهزوم، ومن عادة الهازم أنه يصيح على المهزوم ألا ترى إلى قول الشماخ:

ولا قت بأرجاء البسيطة ساطعا   من الصبح لما صاح بالليل نفّرا

فقال صاح بالليل حتى نفر وانهزم...»[١] .

واضح في كلامه إجراء هذه الاستعارة، فقد شبه النهار بمن هزم عدوه، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالصياح، وإثبات الصياح للنهار قرينة الاستعارة، فالمشبه به المحذوف من يصيح بعدوه المهزوم الذى ولاه الأدبار.

وهذا المشبه به الذى قدر في لسان العرب أدل على المراد، وإصابة الهدف من قول بعضهم يصور المشبه به ذاته: «.. فقد شبه النهار وهو يطرد الليل طردا سريعا برجل يصيح في نواحى غنمه؛ ليزعجها من مكانها، ويحولها عنه، ودل على هذا التشبيه بإثبات الصياح للنهار»[٢] .

لأن المهزوم أمام عدوه يفر، ويجد في الفرار، لا يلوى على شيء، أما الغنم التى تفر أمام راعيها الذى يصيح فيها، فإنها تتحول من مكان إلى آخر، ولا تلج في الفرار، وتتمادى فيه.

ويبدو أن صياغة البيت على هذه الصورة توهم أن الضمير في (كأنه) عائد إلى (الشيب) في صدر البيت؛ لأن الكلام فيه؛ ولذلك عاب بعضهم هذا التشبيه وقال إنه منكوس لأنه «ذكر أن الشيب يبدو في الشباب، ثم ترك ما ابتدأ به، ووصف الشباب بأنه ليل يصيح فيه نهار، والذى تقتضيه المقابلة الصحيحة أن يقول كما ينهض نهار في جانبى ليل»[٣] .

---

(١) لسان العرب ٦/٤٥٥٧ (نهر).

(٢) دراسة تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير/ ٣٠

(٣) حسن التوسل إلى صناعة الترسل / ١٢٥ شهاب الدين محمود الحلبى ت سنة ٧٢٥هـ تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف – دار الحرية للطباعة – بغداد ١٤٠٠ هـ

وهذا نقد له وجاهته بحسب الظاهر، ولكن من يتريث فى نظرته إلى التشبيه فى البيت يجد أن مضمونه كأنه نهار يصيح بجانبى ليل، ومقابلة الليل بالسواد، أو الشباب، تبرز هذا المضمون، وتؤازره، ولا تجعل معنى البيت غامضا أو مستغلقا.

وقد يجمل هنا أن أشير إلى أن فى البيت استعارة مكنية أخرى فى قوله: (والشيب ينهض فى الشباب..) «فقد شبه الشيب بذى حياة وقدرة على النهوض..» وقد أسند النهوض إلى الشيب، وتلك تخييلية»[١] .

وفى البيت كله تشبيه تمثيلى شبه فيه صورة بياض الشيب، وهو يمحو سواد الشباب فى سرعة حتى لا يبقى منه شيئا ببياض النهار، وهو يمحو سواد الليل حتى يزيله جملة، والوجه صورة شىء أبيض يمحو شيئا أسود، ويحتل مكانه»[٢] .

ثانيتها – أنه كان يعبر عن الاستعارة المكنية بكلمة التشبيه، أو ما اشتق منها، فمن ذلك ما أشار إليه من استعارة يِنْع الفاكهة ونضوجها لرءوس الناس فى كلام الحجاج المشهور فقد قال: « ... وأما قول الحجاج إنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها، فإنما أراد قد قرب حمامها، وحان انصرامها شبه رءوسهم لاستحقاقهم القتل بثمار قد أدركت وحان أن تقطف»[٣] .

الاستعارة المكنية كما يبدو فى قوله: (إنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها) فقد أثبت الحجاج للرءوس صفة الفاكهة، وهى الينع، والنضج، فإنه يقال ثمرة يانعة، ومونعة أى نضيجة[٤] .

فيكون قد شبه رءوس الناس الذين يتوعدهم بالثمار التى أدركت، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالينع.

ولازم المشبه به جملة (قد أينعت) وهى صفة لرءوس. ويظهر أن جملة

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها ٢ /١٧٧، د/فضل حسن عباس.

(٢) ينظر دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر فى التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير. الشيخ عبد الهادى العدل/ /٣٠

(٣) لسان العرب ٦ /٤٩٧٢ (ينع) .　　(٤) ينظر أساس البلاغة (ينع) .

(وحان قطافها) ترشيح؛ لأنها جاءت بعد استيفاء الاستعارة قرينتها، وهي من ملائمات المشبه به، وقد عبر عنها صاحب اللسان بقوله (شبه رءوسهم إلخ) وفي استعارة صفة الفاكهة لهذه الرءوس إيماء من الحجاج إلى أنها سهلة القطع، هينة الاستئصال، لا تستعصي عليه، ولا تتأبى على عقابه.

ومن هذا النوع ما أشار إليه من استعارة (الاستتباب) وهو تهيؤ الطريق واستواؤه، ووضوحه للسائرين - استعارته للأمر الواضح المستقيم، فقد قال: «استتب الأمر تهيأ واستوى، واستتب أمر فلان إذا اطرد واستقام وتبين، وأصل هذا من الطريق المستتب وهو الذي خدّ فيه السيارة خدودا وشركا، فوضح واستبان لمن يسلكه كأنه تبب من كثرة الوطء... فصار ملحوبا بينا من جماعة ما حواليه من الأرض، فشبه الأمر الواضح البين المستقيم به...»[1].

فقد استعير الاستتباب من الطريق للأمر، وإثباته للأمر استعارة تخييلية، وهي قرينة المكنية، فيكون قد شبه الأمر الواضح بالطريق الملحوب الذي ذللته، وعبدته كثرة السير فيه، ورمز إليه بالفعل (استتب).

ولازم المشبه به في هذه الاستعارة كما لا يخفى فعل ماض والمشبه فاعل (استتب الأمر).

وقد اكتفى في بيان هذه الاستعارة بقوله (فشبه الأمر الواضح إلخ).

ومن هذا النوع ما أشار إليه من استعارة (شقاشق الإبل) جمع (شقشقة وهي ما يخرجه البعير، من فيه إذا هاج) للشيطان، فقد قال: «الشقشقة لهاة البعير وقيل هو شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج، والجمع الشقاشق، ومنه سمي الخطباء شقاشق شبهوا المكثار بالبعير الكثير الهدر، وفي حديث علي رضي الله عنه - إن كثيرا من الخطب من شقاشق الشيطان فجعل للشيطان شقاشق، ونسب الخطب إليه لما يدخل فيها من الكذب»[2].

---

(١) لسان العرب ١ / ٤١٥ (تبب) .

(٢) لسان العرب ٤ / ٢٣٠٣ (شقق) . والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٤٨٩ .

الاستعارة المكنية فى قول على - رضى الله عنه - (إن كثيرا من الخطب من شقاشق الشيطان) .

فقد أثبت للشيطان شقاشق وهذا الإثبات استعارة تخييلية، وهى قرينة المكنية، فيكون قد شبه الشيطان بالبعير، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشىء من لوازمه، وهو (شقاشق) .

ولازم المشبه به مضاف، والمشبه وهو لفظ الشيطان مضاف إليه .

ومن ذلك ما أشار إليه من استعارة (أشطر ضرع الناقة) للدهر فقد قال : « ... وحلب الدهر أشطره أى خبر ضروبه يعنى أنه مر به خيره وشره، وشدته ورخاؤه تشبيها بحلب جميع أخلاف الناقة ما كان منها حفلا، وغير حفل، ودارا وغير دار، وأصله من أشطر الناقة، ولها خلفان قادمان وآخران كأنه حلب القادمين وهما الخير، والآخرين وهما الشر، وكل خلفين شطر »[١] .

الاستعارة المكنية كما يبدو فى قوله (وحلب الدهر أشطره) فأثبت للدهر أشطرا مثل أشطر ضرع الناقة - كما وضح صاحب اللسان - فيكون قد شبه الدهر بالناقة، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالأشطر .

ولازم المشبه به فيها بدل (أشطره)، والمشبه مفعول به وهو الدهر، والفعل حلب ترشيح؛ لأنه من ملائمات المشبه به .

وقد عبر عنها بقوله (تشبيها بحلب إلخ) .

ثالثتها - انه كان أحيانا يشير إلى الاستعارة المكنية بلفظ (المثل) فمن ذلك ما أشار إليه من استعارة (الأطيط) وهو صوت أقتاب الإبل، وصوت الإبل، وحنينها فقد قال : « .. وفى الحديث أطت السماء، الأطيط صوت الأقتاب، وحنينها أى أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت، وهذا مثل، وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثم أطيط، وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله عز وجل ... »[٢] .

---

(١) لسان العرب ٤ / ٤٤٦٢ (شطر) . (٢) لسان العرب ١ / ٩٢ (أطط) .

الاستعارة المكنية - كما هو باد – فى قوله ﷺ (أطت السماء) فقد أثبت الأطيط للسماء، ولا أطيط لها على الحقيقة، فيكون قد شبه السماء بالإبل، والأقتاب، وحذف المشبه، ورمز إليه بالأطيط، ولازم المشبه به الفعل الماضى (أطّ) والمشبه فاعل وهو لفظ (السماء) .

ونلحظ أنه ﷺ قد استعمل فى تعبيره عناصر البيئة، ليقرب الأمور البعيدة بما هو مشاهد وماثل بين أيديهم، ليقرر قدرة الله، وعظمته .

وقد عبر عن هذه الاستعارة بقوله (هذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة . .) .

ويدعم ما قلته أننى وجدت – بتوفيق من الله – بعض علماء الحديث قد جعل هذا التعبير النبوى نفسه فى حديث آخر استعارة مكنية، أو تمثيلية فقال وهو يتناول قوله ﷺ : « . . أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى . . » .

إنه « استعارة بالكناية شبهت السماء بذى الصوت من الإبل، ثم ذكر شيئا من لوازم الإبل، والأقتاب المركوب عليها، وهو الصوت المعبر عنه بقوله أطت لينتقل الذهن منه إليه »[1] .

ومن ذلك ما أشار إليه من استعارة النحر للنهار، والظهيرة، والشهور فقد قال : « النحر الصدر، النحور الصدور . . . ونحر النهار أوله، وأتيته فى نحر النهار أى أوله، وكذلك فى نحر الظهيرة، وفى حديث الهجرة أتانا رسول الله ﷺ فى نحر الظهيرة هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع، كأنها وصلت إلى النحر، وهو أعلى الصدر، وفى حديث الإفك حتى أتينا الجيش فى نحر الظهيرة فقلت أية ساعة زيارة، ونحور الشهور أوائلها، وكل ذلك على المثل »[2] .

واضح أن هنا عدة استعارات مكنية فى نحر النهار، ونحر الظهيرة، ونحور الشهور، فأثبت للنهار نحر وللظهيرة نحر، وللشهور نحور، وليس لها نحور على

(١) دليل الفالحين، لطرق رياض الصالحين، محمد بن علان ٢ / ٣٠٢ – ٣٠٣ .
(٢) لسان العرب ٦ / ٤٣٦٤ (نحر) . والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٥ / ٢٧ .

الحقيقة، فيكون قائل هذه الاستعارات قد شبه هذه الأشياء بمن له نحر على سبيل الحقيقة، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النحر، أو النحور، ولازم المشبه به فى تلك الاستعارات مضاف، والمشبه مضاف إليه، ويبدو أنها جميعا استعارات مطلقة، لم يذكر معها ما يلائم المشبه به أو المشبه.

وقد عبر عنها كلها بكلمة (المثل) فى قوله (وكل ذلك على المثل).

ومن ذلك ما أشار إليه من استعارة (العجم) وهو عض الشيء ليعلم صلابته أو ضعفه استعارته، لاختبار الرجل، فقد قال: «... وخطب الحجاج يوما فقال إن أمير المؤمنين نكب كنانته، فعجم عيدانها عودا عودا فوجدنى أمرها عودا يريد أنه رازها بأضراسه ليخبر صلابتها... والعجم عض شديد بالأضراس دون الثنايا، وعجم الشيء... عضه ليعلم صلابته من خوره... وعجم الرجل رازه على المثل»[1].

فعجم الأشياء لمعرفة ضعفها أو صلابتها حقيقة، أما إثبات العجم واقعا على الرجل، فهو استعارة مكنية شبه فيها الرجل بشيء يعض ويعجم، وحذف المشبه به، ورمز إليه بالعجم.

ولازم المشبه به فيها هو الفعل الماضى (عجم) والمشبه مفعول به، وهو الرجل، ويبدو أنها استعارة مطلقة، وقد عبر عنها بلفظ (المثل) فى قوله (وعجم الرجل رازه على المثل) أما قول الحجاج (إن أمير المؤمنين نكب كنانته فعجم عيدانها إلخ) فيتراءى لى أنه استعارة تمثيلية شبه فيها حال أمير المؤمنين وهو يختار أحد رجاله ليكون واليا على العراق بمن يروز أعوادا عنده ليتخذ منها (عصا) – مثلا – لأن أمير المؤمنين يختار رجالا ولا يختار أعوادا.

ومن ذلك ما أشار إليه من استعارة النطق للكتاب، فقد قال: «نطق الناطق ينطق نطقا تكلم، والمنطق الكلام والمنطيق البليغ أنشد ثعلب:

---

(١) لسان العرب ٤/ ٢٨٢٧ (عجم). ومعنى نكب كنانته – نثر ما فيها. المصدر نفسه ٦/ ٤٥٣٥ (نكب).

والنوم ينترع العصا من ربها ويلوك ثنْى لســـانه المنطيق

وقد أنطقه الله، واستنطقه أى كلمه، وناطقه.. وكتاب ناطق بين على المثل كأنه ينطق...»[1]

واضح أن النطق من الإنسان حقيقة، أما إسناده وإثباته للكتاب، وهو جماد، فتلك استعارة مكنية شبه الكتاب بالإنسان الناطق، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو النطق.

ولازم المشبه به وقع خبرا، وهو (ناطق) والمشبه مبتدأوهى استعارة مطلقة لم تقترن بملائم للمشبه به، أو المشبه.

رابعتها - أن يذكر أمثلة للاستعارة المكنية دون أن يصرح بشىء مما سبق، فمن ذلك ما أومأ إليه من استعارة الإرادة للجدار، والفئوس، والرمح فقد قال:

«وأراد الشىء شاءه قال ثعلب الإرادة تكون محبة، وغير محبة... وقوله عز وجل: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧] أى أقامه الخضر، وقال يريد، والإرادة إنما تكون من الحيوان، والجدار لا يريد إرادة حقيقية؛ لأن تهيؤه للسقوط قد ظهر كما تظهر أفعال المريدين فوصف الجدار بالإرادة إذ كانت الصورتان واحدة، ومثل هذا كثير فى اللغة والشعر قال الراعى:

فى مَهْمَهٍ قلقت به هاماتهــا قلق الفئوس إذا أردن نصولا

وقال آخـر:

يريـد الرمـح صـــــدر أبـى بـراء

ويعدل عن دماء بنى عقيل»[2]

فنجد صاحب اللسان فى كلامه المتقدم، قد شخص، وصور الاستعارة المكنية تشخيصا واضحا دون أن يصرح بلفظ استعارة، أو تشبيه، أو مثل، مبينا أن الإرادة لا تكون من الجدار على سبيل الحقيقة، وإنما على سبيل الاستعارة؛ لأن

---

(١) لسان العرب ٦/ ٤٤٦٢ (نطق) (٢) لسان العرب ٣/ ١٧٧٢ (رود)

الجدار لما تهيأ للسقوط، واستعد له صار كأنه إنسان يهم، ويتحفر، وإثبات الإرادة للجدار استعارة تخييلية.

ومثل ذلك استعارة الإرادة للفئوس فى بيت الراعى، واستعارتها للرمح فى البيت الأخير.

*　*　*

حول مواقع الاستعارة التخييلية من الإعراب

الاستعارة التخييلية أو لازم المشبه به فى الاستعارة المكنية تأتى - كما ظهر من الشواهد والأمثلة التى سلف ذكرها - على عدة صور:

إحداها - أن تكون مضافا كما فى قول الأعرابية ترثى ولدها:

ألقى عليه الدهر كلكله　　من ذا يقوم بكلكل الدهر

وكما فى قول الكميت:

واحتل برك الشتاء منزله　　وبات شيخ العيال يصطلب

وكما فى قولهم: نحر الظهيرة، أو نحر النهار، وغير ذلك.

ثانيتها - أن تكون صفة مفردة كما فى قول الكميت:

إليكم ذوى آل النبىّ تطلعت

نوازع من قلبى ظماء وألبب

وكما فى قول غيلان الربعى:

حتى إذا شق بهيم الظلماء　　وساق ليلا مرجحن الأثناء

أو جملة كما فى قول الحجاج: إنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها... فإن جملة (قد أينعت) صفة لكلمة (رءوس).

ثالثتها - أن تكون خبرا مفردا، وهو وصف فى المعنى كما فى البيت الذى أنشده ابن الأعرابى:

وبلدة مجهل تمسى الرياح بها لواغبا　　وهى ناء عرضها خاوية

فإن لواغبا خبر تمسى.

وكما فى قول الآخر

قلبى من الزفرات صدعه الهوى   وحشـاى من حـر الفـراق أميم

وكما فى البيت الذى أنشده ثعلب :

قل ما بدا لك من زور ومن كذب   حلمى أصـم وأذنى غـير صـماء

وكما فى قولهم: كتاب ناطق، وغير ذلك.

أو تكون خبـرا وقع جـملة، كـمـا فى قـول على - رضى الله عنه - المـال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق فإن جملة (يزكو على الإنفاق) خبر (والعلم) .

رابعتها - أن تكون فعـلا ماضيا ويبـدو أنه حينئـذ يقصـد منـه ما فيـه من الحدث مجردا عن الزمان فيكون صفة فى المعنى كما فى قول عبـد الله بن سبرة الجرشى:

ساقيته الموت حتى اشتف آخره   فما استكان لما لاقى ولا ضرعا

فاللازم (الاشتفاف) .

وكما فى الحديث (أطت السماء، وحق لها أن تئط . . .) وكما فى قولهم: استتب الأمر، وقولهم: عضه الدهر، وغير ذلك، أو تكون فعلا مضارعا كما فى قول الشاعر:

يريد الرمح صـدر أبى براء   ويعدل عن دماء بنى عقيل

وكما فى قول ذى الرمة :

يدف عـلى آثارها دبرانهـا   فلا هو مسبوق ولا هو يلحق

خامستها - أن تكون مجرورا كما فى قول الشاعر :

إذا كشف اليوم العماس عن استه

فـلا يـرتدى مثـلى ولا يتعمـم

فإن قوله: (استه) لازم للمشبه به. وهذه الشواهد والأمثلة، فيها مادة علمية يمكن الإفادة منها فى مناقشة بعض القضايا البلاغية، التى تحاور فيها بعض علماء البلاغة، مثل تلازم المكنية والتخييلية، أو عدم تلازمهما، ورد الاستعارة التبعية إلى مكنية، وهل يتأتى ذلك فى كل استعارة أو أنه راجع إلى الذوق وغير ذلك.

ولعل الله يهىء لهذه الشواهد والأمثلة بعض الباحثين فيفيد منها، ويثتثمرها فيما يعود على الدرس البلاغى، والبيان العربى بالنفع والفائدة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

مصادر البحث ومراجعه

١ – أسرار البلاغة – الشيخ عبد القاهر الجرجانى – تعليق الشيخ محمود شاكر ط أولى ١٤١٢ هـ .

٢ – أساس البلاغة – الزمخشرى .

٣ – الإيضاح للخطيب القزوينى – مع (البغية) للشيخ عبد المتعال الصعيدى – الطبعة النموذجية .

٤ – الأعلام – خير الدين الزركلى – دار العلم للملايين – بيروت – ط الرابعة ١٩٧٩ م .

٥ – البلاغة فنونها وأفنانها – د . فضل حسن عباس – دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – ط الأولى ١٩٨٧ م .

٦ – بغية الوعاة – السيوطى – ت محمد أبو الفضل – بيروت .

٧ – التفسير الكبير – الإمام فخر الدين الرازى – ط دار الفكر بيروت ١٤٠٥ هـ .

٨ – حاشية الدسوقى على مختصر السعد – شروح التلخيص .

٩ – الحيوان – الجاحظ – ت عبد السلام هارون – ط الثانية ١٩٦٥ م .

١٠ – دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر الجرجانى فى التشبيه والتمثيل، والتقديم والتأخير – عبد الهادى العدل .

١١ – دلائل الإعجاز – الشيخ عبد القاهر الجرجانى – تعليق الشيخ محمود شاكر – مكتبة الخانجى – القاهرة .

١٢ – درر العبارات وغرر الإشارات فى تحقيق معانى الاستعارات – أحمد ابن محمد المكى الحموى – ت د/ إبراهيم عبد الحميد التلب ١٤٠٧ هـ .

١٣ – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين – الشيخ محمد بن علان ط جمعية النشر والتأليف الأزهرية ١٩٢٨ م .

١٤ – زهر الآداب وثمر الألباب لأبى إسحاق إبراهيم على الحصرى القيروانى – شرح وضبط د/زكى مبارك – دار الجيل بيروت – ط الرابعة ١٩٧٢م.

١٥ – شرح ديوان لبيد بن ربيعة – تحقيق وتقديم د/ إحسان عباس – ط وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت ١٩٦٢ م.

١٦ – شرح القصائد العشر للتبريزى – دار الجيل – بيروت.

١٧ – شذرات الذهب فى أخبار من ذهب – ابن العماد الحنبلى – دار إحياء التراث – بيروت.

١٨ – صحيح مسلم – شرح الإمام النووى – ط الشعب.

١٩ – عروس الأفراح... بهاء الدين السبكى– شروح التلخيص.

٢٠ – غراس الأساس – ابن حجر العسقلانى – تحقيق وتعليق د/توفيق محمد شاهين – مكتبة وهبه – ط الأولى ١٩٩٠ م.

٢١ – فتح البارى – شرح صحيح البخارى – ابن حجر العسقلانى – ط الأولى – دار الريان للتراث – القاهرة ١٩٨٦ م.

٢٢ – فن الاستعارة د/أحمد عبد السيد الصاوى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – فرع الاسكندرية ١٩٧٩ م.

٢٣ – الكشاف – الزمخشرى – دار المعرفة – بيروت.

٢٤ – لسان العرب – ابن منظور – ط دار المعارف – القاهرة.

٢٥ – مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف – الشيخ محمد عليان المرزوقى – مع الكشاف.

٢٦ – المجازات النبوية – الشريف الرضى – ضبط وشرح طه عبد الرءوف سعد – مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده.

٢٧ – مسند الإمام أحمد بن حنبل – مؤسسة الطباعة والنشر بيروت – إشراف د/عبد الله بن عبد المحسن التركى – ط الأولى ١٤١٦ هـ.

٢٨ – المطول – سعد الدين التفتازانى – مطبعة أحمد كمال ١٣٣٠ هـ

٢٩ – المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية – القاهرة .

٣٠ – معجم المؤلفين – عمر كحالة – مكتبة المثنى – لبنان .

٣١ – المفتاح – السكاكى – ط مصطفى البابى الحلبى – ط الأولى ١٩٣٧م.

٣٢ – مختار الصحاح .

٣٣ – ابن منظور وأثره فى الدراسات اللغوية د/ محمد متولى منصور – رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية – القاهرة.

٣٤ – نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز – الإمام فخر الدين الرازى – مطبعة الآداب – القاهرة ١٣١٧ هـ .

٣٥ – النهاية فى غريب الحديث والأثر – ابن الأثير تحقيق طاهر أحمد الزاوى وآخر – المكتبة العلمية – بيروت .

* * *

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب : ١٠٢٢٩ / ٩٧
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-19-4178-X